البيان الجلي في حكم الاحتفال بالمولد النبوي

التوحيد

تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية - العدد ٥٤٣ السنة السادسة والأربعون - ربيع أول ١٤٣٨ هـ

الثمن ٢ جنيهات



الرشوة
فساد شرعي ودمار مجتمعي



منع الأذان في فلسطين .. وحرائق إسرائيل !!

- الضوابط الشرعية للمعاملات الاقتصادية
- الشحاذة بين الاحتراف والاحتياج
- اللقطة واللقيط .. أحكام وآداب

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾

صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس مجلس الإدارة
د.عبد الله شاكر الجنيدي

المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د.مرزوق محمد مرزوق
محمد عبد العزيز السيد

السلام عليكم

من أعاجيب الخوارج

طاف خارجيان بالبيت، فقال أحدهما لصاحبه: لا يدخل الجنة من هذا الخلق غيري وغيرك، فقال له صاحبه: جنة عرضها كعرض السماوات والأرض بُنيت لي ولك!! فقال: نعم. فقال: هي لك. وترك رأيه.

وقد كان الاتصاف باليهودية والنصرانية من الأمور المنجية من قتلهم الناس، فمن قال: إنه يهودي أو نصراني أو على أي دين، كان آمنًا عندهم، بخلاف مدعي الإسلام، ويذكر ابن الأثير من أعاجيبهم أنهم ساروا حتى نزلوا تحت نخل فسقطت منه رطبة فأكلها أحدهم، فقال صاحبه: أخذتها بغير حلها وبغير ثمن، فألقاها، ثم مر بهم خنزير لأهل الذمة، فضربه أحدهم بسيفه، فقالوا: هذا فساد في الأرض، فلقي صاحب الخنزير فأرضاه. ومع هذا فقد قاموا بقتل عبد الله بن خباب ابن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد ذبحوه ولم يندموا على قتله كما ندموا على قتل الخنزير، ولكنه الجهل واتباع الهوى!!

التحرير

التحرير
٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧
ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام:
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦
WWW.ANSARALSONNA.COM

تنويه

إلى الإخوة مشتركي مجلة التوحيد بمصر: برجاء مراجعة مكتب البريد التابع لكم، والاتصال بقسم الاشتراكات في حالة عدم وصول المجلة، والإبلاغ عن اسم مكتب البريد التابع له المشترك؛ للتواصل مع المسئولين في هيئة البريد، وبحث الشكوى؛ لضمان وصول المجلة للمشترك في موعدها

والله الموفق

رئيس التحرير:
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني:
حسين عطا القراط

سكرتير التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي



ثمن النسخة

مصر ٣٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٥٠ جنيها بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين ، مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون.

٢- في الخارج ٣٠ دولارا أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة حساب رقم / ١٩١٥٩٠

في هذا العدد

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

افتتاحية العدد

من آداب طلبة العلم

الحلقة الثانية

بقلم/ الرئيس العام
د/ عبدالله شاكر الجنيدي
www.sonna_banha.com

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، وبعد:

فقد تحدثت في اللقاء الماضي عن بعض آداب طلبة العلم، وأواصل في هذا اللقاء الكلام حول هذا الموضوع، فأقول وبالله التوفيق:

٣- الأخلاق الحسنة:

إن التخلق بالآداب السامية، والتحلي بمحاسن الأخلاق العالية أمر لازم ومهم لطالب العلم، وهي أمارة على انتفاع طالب العلم به، كما أنها دليل على سلامة باطنه، وقد تنبه علماؤنا رحمهم الله إلى ذلك، فهذا ابن منظور رحمه الله يقول وهو يعرف الخلق: «وحقيقته: أنه صورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولها أوصاف حسنة وقبيحة، والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة، ولهذا تكررت الأحاديث في مدح حُسن الخلق في غير موضع كقوله صلى الله عليه وسلم: «من أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق». (لسان العرب ١٠/٨٦، ٨٧).

وهذا الكلام في غاية الحسن والدقة، وهو يبين بوضوح الصلة الوثيقة بين الباطن والظاهر، وقد كان الرسول القدوة صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خُلقًا، ويكفي شهادة القرآن له بذلك في قول الله تعالى: « وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ » (القلم:٤)، كما وصفه خادمه أنس ابن مالك فقال كما في صحيح مسلم: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس، وكان أجود الناس، وكان أشجع الناس».

وأنس بن مالك خدم النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين فترة وجوده بالمدينة، وكان من ألصق الناس به، ويعرف مدخله ومخرجه، فكلامه عنه له اعتبار عند أهل العلم، قال النووي في شرحه للحديث: «فيه بيان ما أكرمه الله تعالى به من جميل الصفات، وأن هذه صفات كمال». (شرح النووي على مسلم: ١٥/٦٧).

فعلى طالب العلم أن يتحلى بالخُلق الحسن من الصبر والتواضع وحُسن السمت، وسلامة الباطن والظاهر، وملازمة الورع والأدب والسكينة والوقار، والابتعاد عن مجالس اللغو واللهو، ورحم الله الخطيب البغدادي الذي نصح طالب العلم بهذه الكلمات: «يجب على طالب

الحديث أن يتجنب اللعب والعبث، والتبذل في المجالس بالسخف والضحك والقهقهة وكثرة التنادر، وإدمان المزاح والإكثار منه، فإنما يستجاز من المزاح بيسيره ونادره وطريفه والذي لا يُخرج عن حد الأدب وطريقة العلم، فأما متصله وفاحشه وكثيره، وما أوغر منه الصدور وجلب الشر فإنه مذموم، وكثرة المزاح والضحك يضع من القدر، ويزيل المروءة». (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١/١٥٦).

ويحذر الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله طالب العلم من بعض مساوئ الأخلاق التي يجب عليه الترفع عنها فيقول: «لا تطأ بساط من يغشون في ناديهم المنكر، ويهتكون أستار الأدب، متغابيًا عن ذلك، فإن فعلت ذلك فإن جنايتك على العلم وأهله عظيمة». (حلية طالب العلم ص١٥).

وطالب العلم إن لم ينتفع بعلمه ويكون شامة بين الناس، فإن علمه سيصبح وبالاً عليه، وقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم من علم لا ينفع، كما صح عن زيد بن أرقم أنه كان يقول في دعائه عليه الصلاة والسلام: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها». (مسلم: ٢٧٢٢).

قال الشيخ أبو بكر الجزائري معلقًا على هذا الحديث: «فتعوذه صلى الله عليه وسلم من العلم الذي لا ينفع دليل على أن طالب العلم إذا لم يأخذ نفسه بالأخلاق الفاضلة والآداب الرفيعة والشيم الطاهرة الطيبة أن أمره سيؤول إلى عدم انتفاعه بعلمه، وذلك هو الخسران المبين، كما أن تعوذه صلى الله عليه وسلم من نفس لا تشبع دليل على أنه لا ينبغي لطالب العلم أن يحرص على الدنيا ويتكالب عليها، حتى يؤدي به ذلك إلى الشَّرَه والطمع وأكل الحرام، فتذهب تقواه، ويسقط قدره، ويهبط شرفه- والعياذ بالله تعالى-». (انظر كتاب العلم والعلماء ص٣٢).

علامات حسن الخلق:

وللخلق الحسن علامات؛ من توفرت فيه كان من أصحاب الأخلاق المحمودة، وقد ذكرها يوسف ابن أسباط رحمه الله فقال: «علامة حسن الخلق عشرة أشياء: ١- قلة الخلاف، ٢- حسن الإنصاف، ٣- ترك تطلُّب العثرات، ٤- تحسين ما يبدو من السيئات، ٥- التماس المعذرة، ٦- احتمال الأذى، ٧- الرجوع بالملامة على نفسه، ٨- التفرد بعيوب نفسه دون عيوب غيره، ٩- طلاقة الوجه، ١٠- لين الكلام». (التنوير شرح الجامع الصغير للصنعاني ٥/٥٣٥).

٤- حسن الأدب مع أساتذته وشيوخه:

ومن الأخلاق الحسنة الفاضلة-وهي مهمة جدًا من طالب العلم- أن يتأدب مع أساتذته وشيوخه، وأن يعرف لهم قدرهم ومكانتهم، وينزلهم المنزلة اللائقة بهم، وقد أحسن الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله في حديثه عن أدب الطالب مع شيخه، وذكره لبعض ما يجب على الطالب نحو شيخه، ومما قال: «فليكن شيخك محل إجلال منك وإكرام وتقدير وتلطف، فخذ بمجامع الآداب مع شيخك في جلوسك معه، والتحدث إليه، وحسن السؤال والاستماع، وحسن الأدب في تصفح الكتاب أمامه، وترك التطاول والمماراة أمامه، وعدم التقدم عليه بكلام أو مسير أو إكثار الكلام عنده، أو مداخلته في حديثه ودرسه بكلام منك، أو الإلحاح عليه في جواب، والتزم توقير المجلس، وإظهار السرور من الدرس والإفادة منه».

ثم ذكر رحمه الله بعد هذه الألوان من الأدب تنبيهًا مهما يتعلق بالتعامل مع الشيوخ، قال فيه: «أعيذك بالله من صنيع الأعاجم والطرقية، والمبتدعة الخلفية، من الخضوع الخارج عن آداب الشرع: لحس الأيدي، وتقبيل الأكتاف، والقبض على اليمين باليمين والشمال عند السلام كحال تودد الكبار للأطفال، والانحناء عند السلام، واستعمال الألفاظ الرخوة المتخاذلة، سيدي، مولاي، ونحوها من ألفاظ الخدم والعبيد». (حلية طالب العلم ٢٥/٢٦).

٥- الحذر من الحسد:

الحسد داء وبيل، ومرض فتاك خطير، وهو أول ذنب وقع في الدنيا، وذلك لما حسد إبليس اللعين أبانا آدم على ما فضله الله به، وعندما أمره ربه بالسجود لآدم أبى واستكبر، ودفع الأمر

بسبب الحسد فقال: «﴿ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا﴾» (الإسراء:٦١)، والحسد الذي أريد الحديث عنه هنا هو الحسد الواقع بين الأقران، وهو أمر قديم بين طلاب العلم، وعلى طلبة العلم الحذر من هذا المرض، حتى لا ينال أحدهم من عرض أخيه.

خطورة حسد الأقران:

وللأئمة الكبار كلمات مباركة نافعة في تحذير طلبة العلم مما يقال فيه: حسد الأقران، ومن هؤلاء الحافظ الذهبي رحمه الله الذي قال في ترجمة قتادة بن دعامة السدوسي رحمه الله: «ذُكر يحيى بن أبي كثير عند قتادة، فقال: متى كان العلم في السمَّاكين؟ فذُكر قتادة عن يحيى، فقال: لا يزال أهل البصرة بشر ما كان فيهم قتادة».

ثم عقب الذهبي على هذا بقوله: «قلت: كلام الأقران يُطوى ولا يُروى، فإن ذُكر تأمله المحدث، فإن وجد له متابعًا، وإلا أعرض عنه». (السير ٥/٢٧٥).

وقال الإمام البخاري رحمه الله: «قال إبراهيم بن المنذر عن محمد بن فليح: نهاني مالك عن شيخين من قريش، وقد أكثر عنهما في الموطأ، وهما ممن يُحتج بهما، ولم ينجُ كثير من الناس من كلام بعض الناس فيهم، نحو ما يذكر عن إبراهيم في كلامه عن الشعبي، وكلام الشعبي في عكرمة، وفيمن كان قبلهم، وتناول بعضهم في العرض والنفس، ولم يلتفت أهل العلم في هذا النحو إلا ببيان وحجة، ولم تسقط عدالتهم إلا ببرهان ثابت وحجة، والكلام في هذا كثير».

قال الحافظ الذهبي بعد نقله لهذا الكلام: «لسنا ندعي في أئمة الجرح والتعديل العصمة من الغلط النادر، ولا من الكلام بنفَس حادٍّ فيما بينهم وبينه شحناء وإحنة، وقد عُلم أن كثيرًا من كلام الأقران بعضهم في بعض مهدر لا عبرة به، ولا سيما إذا وثَّق الرجلَ جماعةٌ يلوح على قولهم الإنصاف». (السير ٧/٤٠).

وبناءً على ما سبق أقول لطالب العلم: يجب عليك أن تكون منصفًا مع إخوانك، وتذكر قول الله تعالى: «﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾» (الإسراء: ٣٦).

مفاسد التطاول في أعراض أهل العلم:

وعليك يا طالب العلم أن تصون لسانك عن التطاول في عرض إخوانك إلا ببينة وبرهان، وحجة واضحة للعيان، كما ذكر ذلك الإمامان البخاري والذهبي- رحمهما الله تعالى- فيما نقلته عنهما آنفًا، وعليك أن تجاهد نفسك في إزالة ما يمكن وقوعه في قلبك من الحسد لأقرانك ممن منَّ الله عليهم بالقبول، والله يتولى السرائر، والأولى بك أن تغبط أخاك فيما فضَّله الله به عليك، لا أن يقع في قلبك حسد له.

وقد ذكر الصنعاني رحمه الله الفرق بين الحسد والغبطة، فقال: «والحسد لا يكون إلا على نعمة، فإذا أنعم الله على أخيك نعمة فلك فيها حالتان: إحداهما: أن تكره تلك النعمة وتحب زوالها، وهذه الحالة تسمى حسدًا، الثانية: ألا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها له، ولكنك تريد لنفسك منها، فهذا يسمى غبطة.. وجه تحريم الحسد مع ما علم من الأحاديث: أنه تسخُّط لقدر الله تعالى وحكمته في تفضيل بعض عباده على بعض». (سبل السلام ٤/١٨١).

نصيحة ذهبية:

وأختم هذه المسألة بنصيحة تاج الدين السبكي رحمه الله التي قال فيها: «ينبغي لك أيها المسترشد أن تسلك سبيل الأدب مع الأئمة الماضية، وألا تنظر إلى كلام بعضهم في بعض إلا إذا أتى ببرهان واضح، ثم إن قدرت على التأويل وتحسين الظن فدونك، وإلا فاضرب صفحًا عما جرى بينهم، فإنك لم تُخلق لهذا، فاشتغل بما يعنيك ودع ما لا يعنيك، ولا يزال طالب العلم عندي نبيلاً حتى يخوض فيما جرى بين السلف الماضين، ويقضي لبعضهم على بعض». (طبقات الشافعية ٢/٢٧٨).

فاتق الله يا طالب العلم في أقرانك، وخذ بنصائح أهل العلم في ذلك، واسأل الله السلامة من الحسد، وإن وقع قرينك من أهل العلم والسنة في خطأ، فانصحه لله تعالى، وقم بالواجب عليك في ذلك بما يرضاه الله تعالى، دون افتراء أو كذب، أو فرح بالخطأ والزلل.

وفق الله المسلمين لما يحب ويرضى.

كلمة التحرير

منع الأذان في فلسطين.. وحرائق إسرائيل

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@HYAHOO.COM

الحمد لله القوي الجبار، المنتقم القهار، مذل الجبابرة، قاصم الأكاسرة، مهلك القياصرة، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، والصلاة والسلام على قائد المجاهدين، محبّ الصالحين، ومبغض المنافقين، وعلى آله وصحبه.. وبعد:

حرب جديدة على الإسلام والمسلمين، ولكنها هذه المرة مختلفة، فللمرة الأولى التي نشاهد فيها تلك الحماقة المستفزة لمشاعر المسلمين في العالم أجمع حين تجرأت حفنة ضالة من الحوثيين بإطلاق صاروخ باليستي من الأراضي اليمنية تجاه مكة المكرمة، حفظها الله من شر الأشرار، وكيد الفجار، في محاربة لله تعالى قبل أن تكون محاربة للمسلمين، وانتهاكا صارخًا لحرمة بيته الحرام وقدسيته.

وفي فلسطين المحتلة؛ وفي منحى إجرامي جديد سعى الكيان الصهيوني إلى استصدار قانون من الكنيست الإسرائيلي بمنع الأذان في المساجد عبر مكبرات الصوت؛ لأن صوت الأذان يُنغص على اليهود حياتهم، ويصيبهم بالأرق، والله سبحانه وتعالى توعّد من منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه فقال عز من قائل: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (البقرة:١١٤). وفي الكيان الصهيوني تشتعل الحرائق بشكل لم يسبق له مثيل يشتعل أكثر من ٢٣٠ حريقًا في أماكن مختلفة في الأيام الماضية، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ (إبراهيم:٤٢). ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

استهداف حرمة مكة يُعد محاربة لله تعالى

ذهب الفكر الحوثي إلى آخر مداه مستمدًا قواه التي تخور يومًا بعد يوم من الفكر الإيراني الخبيث، الذي يُضمر الكراهية للمسلمين السُّنّة، ووصل بهم المدى إلى حد استباحة توجيه صاروخ باليستي تجاه مكة المكرمة قبلة المسلمين في العالم، من قبل ميليشيات الحوثي الانقلابية في اليمن.

ومعروف أن إيران هي الحليف الأبرز لتلك الميلشيات، استنادًا لروابط مذهبية وطائفية؛ حيث تقوم بتزويد تلك الميليشيات بالأسلحة والعتاد والأموال والخبراء، هي وحليف إيران حزب الله الشيعي اللبناني، ويقومون بتزويد الحوثيين بالأسلحة، وقد تم ضبط العديد من السفن التي تحمل الأسلحة الإيرانية أثناء وصولها إليهم.

كما تقدم إيران الدعم اللوجستي لميليشيات الحوثي عبر تدريب المرتزقة المنضمين لتلك الميليشيات، والذين تجلبهم إيران إليها من إفريقيا وآسيا، ومستشارين عسكريين يساعدون في قيادة تلك المعارك والتخطيط لها.

وقد كشفت مصادر يمنية عن تورط حزب الله وميليشياته الإرهابية مع الحوثيين في إطلاق الصاروخ الباليستي، وأن النظام الإيراني بمساعدة حزب الله قد أقام مركزا للتدريب وتصنيع المتفجرات في صعدة، وأن ميليشيات الحوثي تمتلك صواريخ من نوعية «زلزال» و«جراد» فضلاً عن الصواريخ الباليستية والألغام، وأن مراكز التدريب والورش التي

يديرها إيرانيون و«حزب الله» توجد في بلدة «كدبة» في منطقة «بني غريان» بصعدة. (نقلاً عن صحيفة عكاظ السعودية).

استباحة مكة عقيدة عند نظام الملالي

إن الحمق الذي أقدم عليه الإيرانيون باستهداف أطهر بقاع الأرض؛ مكة المكرمة وقبلة المسلمين في العالم أجمع، لهو عمل إجرامي تجاوزت فيه تلك الميليشيات المأجورة كل الحدود الإنسانية والأخلاقية والدينية، بل فاقت في اعتدائها الآثم ما أقدم عليه من قبل أبرهة صاحب الفيل، وأجدادهم القرامطة في اعتدائهم على الحجيج وعلى الكعبة المشرفة، في عدوانهم الصارخ على أعظم مقدسات المسلمين، الذي لم يراع فيه المجرمون حرمة الزمان ولا المكان؛ حيث إن اعتداءهم الآثم وقع في الشهر الحرام على البلد الحرام، مما ألهب مشاعر المسلمين في أنحاء العالم حرقة وألما على مقدساتهم ممن يدعون الإسلام والدفاع عنه وعن المسلمين، وإن هؤلاء الحوثيين ومجرمي حزب الله مارقون عن دين الله، وإن فعلتهم القذرة تعبر عن حقيقتهم وكذب ادعائهم بنصرة الإسلام.

ولم يكن هذا العمل الأحمق مجرد عمل عدواني على المملكة في ظل الحرب التي يشعلونها هناك ويريدون توسيع نطاقها لتشمل دولا أخرى في المنطقة، وإنما يأتي ذلك تنفيسًا عما هو بداخلهم من عقيدة لدى نظام الملالي في إيران وأتباعها في استباحة مكة المكرمة؛ حيث يرى الفرس الإيرانيون في الوجود السني في بلاد الحرمين اغتصابًا لهذه الأماكن المقدسة، ويرتبون على ذلك حتمية «تطهير هذه الأماكن من النواصب»، ويقصدون بهم أهل السُّنة، وإعادتها إلى أحضان أهل البيت، على حدِّ وصفهم.

وللتدليل على ذلك فقد نشرت مجلة الشهيد الإيرانية في عددها رقم ٤٦ في ١٦ شوال ١٤٠٠هـ، صورة تمثل الكعبة المشرفة وإلى جانبها صورة تمثل المسجد الأقصى المبارك وبينهما صورة يد قابضة على بندقية، وتحتها تعليق نصه: «سنحرر القبلتين».

ويقول مُرشد الثورة الإيرانية الخميني في حديث له مع جريدة «كيهان» في ١٩٨٧/٨/٤م، مهددًا القائمين على أمر البيت الحرام والمدينة النبوية: «سوف نحاسبهم بعون الله في الوقت المناسب، وسوف ننتقم لأبناء إبراهيم من النماردة والشياطين وأبناء قارون».

ويقول المرجع الشيعي حسين الخراساني في كتابه «الإسلام على ضوء التشيع»: «إن كل شيعي على وجه الأرض يتمنى فتح وتحرير مكة والمدينة».

وقد كشف المتحدث باسم قوات التحالف العربي اللواء عسيري أن قوت الحوثي استخدمت مسجدًا، وتعاملت معه كمنصة لإطلاق الصاروخ الذي استهدفت به منطقة مكة المكرمة، وأن هذا الفعل يأتي دليلاً على الضلالة والغواية، وكشف خبث النوايا والتوجه، والحقد على الإسلام والمسلمين، وأن حرمة بيت الله تعالى وحرمة بلده الحرام، ليست محلاً للمساومة أو التقاعس.

صوت الأذان يُنغص حياة اليهود في فلسطين المحتلة

وفي عمل أحمق آخر حدث هذه المرة في فلسطين المحتلة، حيث صادقت اللجنة الوزارية الإسرائيلية على قانون يمنع المؤذنين من إعلان وقت الصلاة والأذان عبر مكبرات الصوت، وكان مشروع القانون الذي تقدم به عضوٌ للكنيست الإسرائيلي من حزب «البيت اليهودي، وإسرائيل بيتنا»، يأتي بعد أيام قليلة من تظاهر سكان إحدى المستوطنات بالقدس الشرقية، والذين قاموا بمحاكاة الأذان المنبعث من المساجد أمام مقر إقامة رئيس بلدية القدس «نيربركات»، للاحتجاج على صوت الأذان، وأنه في وقت مبكر كل يوم «إنه أذان الفجر» يسمعون الأذان، وكأن في آذانهم وقرًا، الأمر الذي يقض مضاجع مئات الآلاف من اليهود، حسب زعمهم.

وقد شهدت البلدان والمدن العربية في أراضي ٤٨، موجات من الغضب خرجت في شكل تظاهرات، ومسيرات احتجاجية على مشروع القانون فور انتهاء الصلوات يوميًا في الأراضي المحتلة، واعتبروا أن قانون منع الأذان بمكبرات الصوت استخفاف بالشعائر الدينية للمسلمين، كما تعهدوا بأن يستمر رفع الأذان حتى لو جرى سَنّ هذا القانون العنصري، فالله أكبر، الله أكبر، الله أكبر من تدبيرهم وحماقتهم وعنصريتهم.

وكذلك نريهم آياتنا

لليوم الرابع على التوالي حتى كتابة هذه السطور، تنتشر الحرائق في إسرائيل، وتهب الرياح الشرقية تشعل الحرائق في الغابات.. إسرائيل تحترق، والنيران تتطاير في الهواء، حرائق شاسعة في إسرائيل، وكأن نار جهنم تضرب إسرائيل تزامنًا مع موجة الرياح الجافة التي هَبّت على المنطقة؛ حيث نشبت الحرائق في غابات وسط وشمال الأراضي المحتلة على امتداد مساحات واسعة، وانتشرت الأبخرة والدخان لتغطي مناطق عديدة في الأراضي المحتلة.

وقد اشتعل أكثر من ٢٣٠ حريقًا في الأيام الماضية في إسرائيل وصلت إلى المباني السكنية في مدينة حيفا؛ حيث تم إجلاء أكثر من سبعين ألفًا من السكان، وتم إخلاء البيوت والمدارس إضافة إلى إخلاء جامعة حيفا بعد وصول النيران إليها، وهي المدينة الأكثر تضررًا من جراء الحرائق المشتعلة حتى كتابة تلك السطور، بعد أن استغاثت إسرائيل بالعديد من دول الجوار للمساعدة في إطفاء الحرائق.

وتأتي الحرائق الملتهبة على بعض أحلام بني صهيون فينفجر القمر الصناعي الإسرائيلي «عاموس ٦» والذي أصاب تل أبيب بالحسرة والندامة، وتحطمت خمسة أطنان من التكنولوجيا المتطورة في دقائق معدودة جراء انفجار الصاروخ «فالكون ٩» أثناء تجربة إطلاقه، ومن ثم اشتعال الحرائق على إثرها في إسرائيل.

فاللهم أنت المنتقم الجبار، أنزل عذابك على هؤلاء الفجار، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



باب التفسير

سورة الأحقاف

الحلقة الرابعة

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي

بسم الله الرحمن الرحيم

« قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ »

(الأحقاف: ٩- ١٠).

ثُمَّ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ صلى الله عليه وسلم أَنْ يَقُولَ: «قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ» فَلَسْتُ أَوَّلَ إِنْسَانٍ يَدَّعِي أَنَّ اللهَ أَرْسَلَهُ، فَقَدْ سَبَقَنِي رُسُلٌ كَثِيرُونَ، أَوْحَى اللهُ إِلَيَّ كَمَا أَوْحَى إِلَيْهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: « كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ » (الشورى: ٣)، وَقَالَ تَعَالَى: «إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا » (النساء: ١٦٣- ١٦٦)، فَكَمَا بَعَثَ اللهُ تَعَالَى نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى كَذَلِكَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم، فَكَيْفَ تَعْجَبُونَ أَنْ يَأْتِيَكُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدَ اللهِ وَقَدْ سَبَقَنِي رُسُلٌ كَثِيرُونَ.

وَقَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم: «وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ»: أَيْ فِي الدُّنْيَا، عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: أَمَّا فِي الآخِرَةِ فَمَعَاذَ اللهِ، قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ فِي الْجَنَّةِ حِينَ أَخَذَ مِيثَاقَهُ فِي الرُّسُلِ، وَلَكِنْ قَالَ: «وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ» فِي الدُّنْيَا، أُخْرَجُ كَمَا أُخْرِجَتِ الأَنْبِيَاءُ قَبْلِي، أَوْ أُقْتَلُ كَمَا قُتِلَتِ الأَنْبِيَاءُ مِنْ قَبْلِي، ثُمَّ أُوحِيَ إِلَيْهِ: « وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ » (الإسراء: ٦٠)، يَقُولُ: أَحَطْتُ لَكَ بِالْعَرَبِ أَنْ لَا يَقْتُلُوكَ، فَعَرَفَ أَنَّهُ لَا يُقْتَلُ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: « هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا » (الفتح: ٢٨)، يَقُولُ: أَشْهَدُ لَكَ عَلَى نَفْسِهِ أَنَّهُ سَيُظْهِرُ دِينَكَ عَلَى الأَدْيَانِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ فِي أُمَّتِهِ: « وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ » (الأنفال: ٣٣) فَأَخْبَرَهُ اللهُ مَا يَصْنَعُ بِهِ وَمَا يَصْنَعُ بِأُمَّتِهِ. (جامع البيان(٢٦/٧و٨)).

فَإِنْ قِيلَ: لَكِنْ قَدْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ أَنَّ أُمَّ الْعَلَاءِ- امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ بَايَعَتِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم-أَخْبَرَتْهُ أَنَّهُ اقْتَسَمَ الْمُهَاجِرُونَ قُرْعَةً، فَطَارَ لَنَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ،

فَأَنْزَلْنَاهُ فِي أَبْيَاتِنَا، فَوَجِعَ وَجَعَهُ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ وَغُسِّلَ وَكُفِّنَ فِي أَثْوَابِهِ، دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقُلْتُ: رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ، فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ. فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَكْرَمَهُ»؟. فَقُلْتُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَمَنْ يُكْرِمُهُ اللَّهُ؟! فَقَالَ: «أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ، وَاللَّهِ إِنِّي لأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ، وَاللَّهِ مَا أَدْرِي- وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ- مَا يُفْعَلُ بِي». قَالَتْ: فَوَاللَّهِ لاَ أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَهُ أَبَدًا. (صحيح البخاري ١٢٤٣).

فَهَذَا الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ قَوْلَهُ صلى الله عليه وسلم: «وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ» يَشْمَلُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ؟

فَالْجَوَابُ: أَنَّ الْبُخَارِيَّ أَخْرَجَ الْحَدِيثَ فِي كِتَابِ «الشَّهَادَاتِ» مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى وَفِيهَا: «وَاللَّهِ مَا أَدْرِي- وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ- مَا يُفْعَلُ بِهِ.» (صحيح البخاري ٢٦٨٧). قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَذَا أَشْبَهُ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمَحْفُوظَ. (تفسير القرآن العظيم(٤/١٥٥)).

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَوْجِيهِ رِوَايَةِ «بِي»:

وَإِنَّمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ذَلِكَ مُوَافَقَةً لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الأَحْقَافِ: «قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ» وَكَانَ ذَلِكَ قَبْلَ نُزُولِ قَوْلِهِ تَعَالَى: «لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا» (الفتح: ٢)، لأَنَّ الأَحْقَافَ مَكِّيَّةٌ، وَسُورَةُ الْفَتْحِ مَدَنِيَّةٌ، بِلاَ خِلاَفٍ فِيهِمَا، وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ»، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الأَخْبَارِ الصَّرِيحَةِ فِي مَعْنَاهُ، فَيَحْتَمِلُ أَنْ يُحْمَلَ الإِثْبَاتُ فِي ذَلِكَ عَلَى الْعِلْمِ الْمُجْمَلِ، وَالنَّفْيُ عَلَى الإِحَاطَةِ مِنْ حَيْثُ التَّفْصِيلُ (فتح الباري (٣/١١٥)).

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِهِ: "وَأَوْلَى الأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصِّحَّةِ، وَأَشْبَهُهَا بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ التَّنْزِيلُ، الْقَوْلُ الَّذِي قَالَهُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ أَوْلاَهَا بِالصَّوَابِ لأَنَّ الْخِطَابَ مِنْ مُبْتَدَأِ هَذِهِ السُّورَةِ إِلَى هَذِهِ الآيَةِ وَالْخَبَرَ خَرَجَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خِطَابًا لِلْمُشْرِكِينَ وَخَبَرًا عَنْهُمْ، وَتَوْبِيخًا لَهُمْ، وَاحْتِجَاجًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَيْهِمْ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ أَيْضًا سَبِيلُهَا سَبِيلُ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا فِي أَنَّهَا احْتِجَاجٌ عَلَيْهِمْ، وَتَوْبِيخٌ لَهُمْ، أَوْ خَبَرٌ عَنْهُمْ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَمُحَالٌ أَنْ يُقَالَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: قُلْ لِلْمُشْرِكِينَ مَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ فِي الآخِرَةِ، وَآيَاتُ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي تَنْزِيلِهِ وَوَحْيِهِ إِلَيْهِ مُتَتَابِعَةٌ بِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ فِي النَّارِ مُخَلَّدُونَ، وَالْمُؤْمِنُونَ بِهِ فِي الْجِنَانِ مُنَعَّمُونَ، وَبِذَلِكَ يُرَهِّبُهُمْ مَرَّةً، وَيُرَغِّبُهُمْ أُخْرَى، وَلَوْ قَالَ لَهُمْ ذَلِكَ لَقَالُوا لَهُ: فَعَلاَمَ نَتَّبِعُكَ إِذًا وَأَنْتَ لاَ تَدْرِي إِلَى أَيِّ حَالٍ تَصِيرُ غَدًا فِي الْقِيَامَةِ، إِلَى خَفْضٍ وَدَعَةٍ، أَمْ إِلَى شِدَّةٍ وَعَذَابٍ، وَإِنَّمَا اتِّبَاعُنَا إِيَّاكَ إِنِ اتَّبَعْنَاكَ، وَتَصْدِيقُنَا بِمَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ، رَغْبَةٌ فِي نِعْمَةٍ وَكَرَامَةٍ نُصِيبُهَا، أَوْ رَهْبَةٌ مِنْ عُقُوبَةٍ، وَعَذَابٍ نَهْرُبُ مِنْهُ، وَلَكِنَّ ذَلِكَ كَمَا قَالَ الْحَسَنُ، ثُمَّ بَيَّنَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم مَا هُوَ فَاعِلٌ بِهِ، وَبِمَنْ كَذَّبَ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ وَغَيْرِهِمْ". (جامع البيان(٢٦/٨)).

وَقَوْلُهُ: «إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ» يَعْنِي أَنَّهُ مُتَّبِعٌ لاَ مُبْتَدِعٌ، وَمُبَلِّغٌ لاَ مُفْتَرٍ، فَكُلُّ مَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ، أَوْ آمُرُكُمْ بِهِ، أَوْ أَنْهَاكُمْ عَنْهُ، فَإِنَّمَا هُوَ وَحْيُ اللَّهِ إِلَيَّ، أَمَرَنِي بِتَبْلِيغِهِ إِيَّاكُمْ، «وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ» أُنْذِرُكُمْ عَذَابَ اللَّهِ الَّذِي تَسْتَحِقُّونَهُ بِكُفْرِكُمْ بِهِ وَعِبَادَتِكُمْ غَيْرَهُ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ»:

يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ صلى الله عليه وسلم أَنْ يَقُولَ لِمُكَذِّبِيهِ: «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ» هَذَا الْقُرْآنُ الَّذِي تَزْعُمُونَ أَنَّنِي افْتَرَيْتُهُ «مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ» كَيْفَ تَكُونُ عَاقِبَتُكُمْ؟ لَنْ تَكُونَ إِلاَّ كَمَا قَالَ اللَّهُ:

« أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ (٦٩) الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٧٠) إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ » (غافر: ٦٩-٧٢).

وللحديث بقية إن شاء الله

والحمد لله رب العالمين.

أسباب النصر من سورة الحشر

الحلقة الثالثة

إعداد/ عبد الرزاق السيد عيد

الحمد لله الذي تسبح بحمده السماوات السبع والأرض ومن فيهن، وأشهد ألا إله إلا الله وحده، نصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، وبعد:

أيها القارئ الكريم: اخترت حديثي معك اليوم عن أسباب النصر من سورة الحشر، والتي سماها حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما بسورة بني النضير، والسورة من بدايتها إلى نهايتها تتحدث عن غزوة بني النضير وتعقب عليها، ولأن غزوة بني النضير وقعت في الثالث من ربيع الأول من العام الرابع الهجري، ولأننا في شهر ربيع رأيت أن أتحدث معكم عن واحد من أحداث شهر ربيع، وكم في شهر ربيع الأول من أحداث مهمة في تاريخ هذه الأمة! هذا بالإضافة إلى تناول القرآن لأحداث تلك الغزوة في هذه السورة مما يوحي بفوائد جمة تحتاج إليها الأمة في مسيرتها إلى الله تثبيتًا للعقيدة وتصحيحًا للمسيرة لعلنا بذلك نضع لبنة في بناء إصلاح المجتمع متمثلاً قول نبي الله شعيب لقومه: «إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَـٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ» (هود:٨٨)، وبعون من الله نبدأ وقفتنا هذه والتي ستكون من ثلاثة محاور:

الأول: مصدر النصر وأسبابه.

الثاني: مقارنة بين الماضي والحاضر بين جيل الصحابة الفريد ومن جاء بعدهم.

الثالث: فوائد من أقوال المفسرين.

أولاً: مصدر النصر وأسبابه.

أ- مصدر النصر:

قال الله تعالى: «وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ» (آل عمران:١٢٦)، وهذا المعنى لا بد أن يستقر في قلوب المؤمنين يقينًا راسخًا لا يتزعزع وهو الذي تؤكده سورة الحشر تأكيدًا جازمًا إذ بدأت السورة بقوله تعالى: «سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ» (الحديد:١)، وكما بدأت بالتسبيح اختتمت به لكن بصيغة المضارع «يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»، فالله العزيز الذي لا غالب له والحكيم فيما يصدر عنه وهو سبحانه المستحق للتسبيح في الماضي والحاضر والمستقبل فهو سبحانه المنزه عن كل نقص الموصوف بكل كمال والمنزه عن الشبيه والمثال في الذات وفي الصفات والأسماء

والأقوال والأفعال.

وهذه المقدمة التي بدأت بها السورة وختمت بها تمهد لما يلي: « هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ » (الحشر:٢).

وهذا بيان شديد الوضوح أن الذي تولى إخراج بني النضير من ديارهم هو الله سبحانه الذي قذف في قلوبهم الرعب وهو السلاح الذي لم يكن يحتسبه اليهود وهو الذي لا تنفع معه الحصون ولا القلاع التي تمتد سواحلها ولا ينفع معه السلاح الذي أعدوه، والرعب جند من جند الله يسلطه على من يشاء والنصر به من خصائص النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم وهو القائل فيما أخرجه البخاري ومسلم من حديث جابر رضي الله عنه: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ».

ب- مجتمع استحق نصر الله:

الله سبحانه وعد المؤمنين بالنصر وأخذ سبحانه على نفسه العهد والميثاق أن ينصر رسله والذين آمنوا معهم في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، وقد تحقق وعد الله لرسله والذين آمنوا معهم على مر التاريخ وها هو يحقق وعده لخاتم رسله والذين آمنوا معه، بينما شاق بنو النضير الله ورسوله فكتب عليهم الجلاء من المدينة إلى خيبر مرحليا ولهم في الآخرة عذاب النار.

وهنا سؤال يطرح نفسه: كيف استحق مجتمع المدينة نصر الله؟ لأنه مجتمع حقق تقوى الله وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، هذا إجمالاً، والقرآن الكريم يحدثنا عن أخلاق وصفات مكونات هذا المجتمع الثلاثة: «المهاجرين والأنصار والذين جاؤوا من بعدهم».

أما بخصوص المهاجرين الأولين فقد مدحهم الله بقوله سبحانه: «لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ » (الحشر:٨)، لأنهم صدقوا في إيمانهم وفي هجرتهم فلم يخرجوا طلبًا للجاه في الدنيا ولا طمعًا في مغنم، بل لقد تركوا أموالهم وديارهم وهاجروا طلبًا لمرضاة الله ونصرة لدينه ورسوله.

ثم أثنى الله على المكون الثاني من أهل المدينة، فقال سبحانه: « وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ » (الحشر:٩)، فهؤلاء الأنصار الذين هم سكان المدينة الأصليون استقبلوا إخوانهم المهاجرين بكل محبة وسماحة نفس ورحابة صدر وإيثار.

أما المكون الثالث من مكونات المدينة فهم الذين هاجروا إلى المدينة بعد ذلك أو دخلوا في الإسلام حديثًا، قال عنهم الله سبحانه وتعالى: «رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ » (الآيات: ١٠) على الترتيب من سورة الحشر، وهؤلاء الذي أثنى الله عليهم لاعترافهم بفضل السلف والدعاء لهم ومحبتهم والترضي عنهم ودعاء أن لا يجعل في قلوبهم غلاً على أحد منهم، وهذه الصفات تدل على مجتمع قائم على تقوى من الله ورضوان متآخ مترابط كالبنيان يشد بعضه بعضًا في مواجهة عدو الله وعدوهم، ألا يستحق هذا المجتمع نصر الله؟! بلى يستحق، وقد نصره الله سبحانه وتعالى.

ثانيًا: مقارنة بين الماضي والحاضر بين جيل الصحابة الفريد ومن جاء بعدهم:

رأينا كيف كانت صفات المهاجرين والأنصار والذين جاؤوا من بعدهم من المؤمنين كلها يمكن تلخيصها في كلمتين آثروا الباقية على الفانية، آثروا الآخرة على الدنيا، وعملوا لذلك بصدق، فنصرهم الله، وقذف الرعب في قلوب أعدائهم.

ولكن المسلمين اليوم آثروا الدنيا على الآخرة، فأصابهم ما صوره الحديث النبوي أبلغ تصوير حين قال صلى الله عليه وسلم وقد أطلعه الله تعالى على نافذة من الغيب لينظر فيها: «يُوشِكُ

أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ قَالَ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ، يَنْتَزِعُ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ قَالَ قُلْنَا وَمَا الْوَهَنُ قَالَ حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ». هذه هي حقيقة أوضاع المسلمين اليوم والمخرج منها واضح هو العودة إلى الدين بصدق كما جاء في حديث آخر: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ».

فلو كانت الغاية من زرع وتربية الماشية هي الانغماس في الدنيا والتحايل على الحرام وترك الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال، سلط الله علينا الذل الذي لا ينزعه إلا العودة الصادقة إلى الله المتمثلة في اتباع طريق من سلف، وقد أبان صلى الله عليه وسلم الطريق إذا اختلفت الأمور فقال عليه الصلاة والسلام في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه: «.. وإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة». (أخرجه الترمذي وأحمد، وهو حديث صحيح).

فالمسلمون اليوم إذا أرادوا العزة والنصر فالطريق واضحة لكنها تحتاج إلى الصدق والرغبة فيما عند الله.

ثالثا: فوائد من كلام أهل العلم حول الآيات:

١- وبمناسبة قوله تعالى: «وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ» (الحشر:٩)، نقل ابن جرير الطبري وغيره تفسير ابن مسعود رضي الله عنه للشح بأنه أكل مال الآخرين ظلمًا. ولعله رضي الله عنه استدل بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «واتقوا الشح فإنه أهلك من كان قبلكم؛ حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم». (رواه مسلم).

وبما رواه أحمد من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه: «وإياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم، أمرهم بالظلم فظلموا، وأمرهم بالفجور ففجروا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا».

٢- وبمناسبة قوله تعالى: «وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ» (الحشر:١٠) الآية. قال الشيخ السعدي رحمه الله: «هؤلاء الأصناف الثلاثة هم أصناف هذه الأمة، وهم المستحقون للفيء الذي مصرفه راجع إلى مصالح الإسلام». وقال: «وفي الآية دليل على المشاركة في الإيمان وأنهم تابعون للصحابة في عقائد الإيمان وأصوله وهم أهل السنة والجماعة الذين لا يصدق هذا الوصف التام إلا عليهم».

وقال الإمام القرطبي: «هذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة، ونقل عن الإمام مالك وغيره قولهم: «من كان يبغض أحدًا من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أو كان في قلبه عليهم غل فليس له حق في فيء المسلمين. ثم قال: «وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ» الآية، يعني ليس منهم.

ونقل القرطبي أيضًا عن الشعبي رحمه الله قوله: «تفاضلت اليهود والنصارى بخصلة؛ سُئلت اليهود عن خير أهل ملتكم قالوا: أصحاب موسى، وسُئلت النصارى من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب عيسى. وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم؟ قال: أصحاب محمد، أُمر بالاستغفار لهم فسبوهم، فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة، لا تقوم لهم راية، ولا تكتب لهم قدم، ولا تجتمع لهم كلمة كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله». اهـ.

وقال الإمام ابن تيمية رحمه الله في منهاج السنة عن الرافضة: «فهل يوجد أضل من قوم يعادون السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ويوالون الكفار والمنافقين». اهـ.

٣- من المناسب بعد ذكر أمر بني النضير وحال المنافقين وحال أتباع الشيطان أن يأتي الأمر من الرحمن بتقوى الله والاستعداد لليوم الآخر، فقال سبحانه: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ» (الحشر:١٨).

«رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ» (الحشر:١٠).

والحمد لله رب العالمين.

باب العقيدة

معنى التوحيد وأنواعه

الكون وفطرته في الخضوع والطاعة لله تعالى

الحلقة الثالثة



إعداد/ د. صالح الفوزان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فمما لا شك فيه أنَّ جميع الكون بسمائه وأرضه وأفلاكه وكواكبه، ودوابه وشجره ومدره وبره وبحره، وملائكته وجنه وإنسه؛ كله خاضع لله، مطيع لأمره الكوني، قال تعالى: «وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا» (آل عمران:٨٣)، وقال تعالى: «بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ» (البقرة: ١١٦)، «وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ» (النحل: ٤٩)، «أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ» (الحج: ١٨)، «وَلِلَّهِ يَسۡجُدُۤ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ» (الرعد:١٥).

فكُلُّ هذه الكائنات والعوالم مُنقادة لله خاضعة لسلطانه؛ تجري وفق إرادته وطوع أمره، لا يستعصي عليه منها شيء؛ تقوم بوظائفها، وتؤدي نتائجها بنظام دقيق، وتنزه خالقها عن النقص والعجز والعيب، قال تعالى: «تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ» (الإسراء: ٤٤).

فهذه المخلوقات صامتها وناطقها، وحيها وميتها، كلها مُطيعةٌ لله مُنقادة لأمره الكوني، وكُلُّها تنزه الله عن النقائص والعيوب بلسان الحال، ولسان المقال. فكلما تدبّر العاقل هذه المخلوقات؛ علم أنها خُلقت بالحق وللحق، وأنها مسخرات ليس لها تدبير ولا استعصاء عن أمر مدبرها؛ فالجميع مُقرُّون بالخالق بفطرتهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: (وهم خاضعون مُستسلمون، قانتون مضطرون، من وجوه:

منها: علمهم بحاجتهم وضرورتهم إليه.

ومنها: خضوعُهُم واستسلامهم لما يجري عليهم من أقداره ومشيئته.

ومنها: دعاؤهم إياهُ عندَ الاضطرار.

والمؤمن يخضع لأمر ربه طوعًا؛ وكذلك لما يقدره عليه من المصائب، فإنه يفعلُ عندها ما أمر به من الصبر وغيره طوعًا؛ فهو مسلم لله طوعًا،

خاضع له طوعًا.
والكافرُ يخضع لأمر ربه الكوني، وسجود الكائنات المقصود به الخضوعُ، وسجود كل شيء بحَسَبه، سُجودٌ يناسبه ويتضمَّنُ الخضوع للرب، وتسبيح كل شيء بحسبه حقيقةً لا مجازًا).
وقال شيخُ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- على قوله تعالى: «أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ» (آل عمران: ٨٣).
قال: (فذكر سبحانه إسلام الكائنات طوعًا وكرهًا؛ لأن المخلوقات جميعها متعبدة له التعبد التام؛ سواء أقر المقر بذلك أو أنكره؛ وهم مَدينون له مُدَبَّرون؛ فهمُ مسلمون له طوعًا وكرهًا، وليس لأحد من المخلوقات خروج عمَّا شاءه وقدَّره وقضاه، ولا حول ولا قوة إلا به، وهو رب العالمين ومليكُهُم، يصرفهم كيف يشاء، وهو خالقهم كلهم، وبارئهم ومصورهم، وكل ما سواه فهو مربوب مصنوع، مفطور فقير محتاج مُعبَّدٌ مقهور؛ وهو سبحانه الواحد القهار الخالق البارئ المصور) .

بيان منهج القرآن في إثبات وُجود الخالق ووحدانيته:

منهجُ القرآن في إثبات وجود الخالق ووحدانيته؛ هو المنهج الذي يتفق مع الفطر المستقيمة، والعقول السليمة، وذلك بإقامة البراهين الصحيحة، التي تقتنع بها العقول، وتسلم بها الخصوم، ومن ذلك:

١- من المعلوم بالضرورة أن الحادث لا بد له من محدث:

هذه قضية ضرورية معلومة بالفطرة؛ حتى للصبيان؛ فإنَّ الصَّبيَّ لو ضربَهُ ضاربٌ، وهو غافلٌ لا يُبصره، لقال: من ضربني؟ فلو قيل له: لم يضربكَ أحدٌ؛ لم يقبل عقلُهُ أن تكونَ الضَّربةُ حدثت من غير محدث؛ فإذا قيل: فلان ضربَكَ، بكى حتى يُضرَبَ ضاربُهُ؛ ولهذا قال تعالى: «أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ» (الطور: ٣٥).
وهذا تقسيم حاصر، ذكره الله بصيغة استفهام إنكاري؛ ليبيِّن أنَّ هذه المقدمات معلومة بالضرورة، لا يمكن جحدها، يقول: «أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ» أي: من غير خالق خلقهم، أم هم خَلَقوا أنفسهم؟ وكلا الأمرين باطلٌ؛ فتعين أن لهم خالقًا خلقهم، وهو الله سبحانه، ليسَ هُناك خالق غيره، قال تعالى: «هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ» (لقمان: ١١).
«أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ» (الأحقاف: ٤).
«أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ» (الرعد: ١٦)، «إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ» (الحج: ٧٣).
«وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ» (النحل: ٢٠).
«أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ» (النحل: ١٧).
ومع هذا التحدي المتكرِّر لم يدَّع أحدٌ أنه خلقَ شيئًا، ولا مجرد دعوى- فضلاً عن إثبات ذلك-، فتعيَّنَ أن الله سُبحانه هو الخالقُ وحدَهُ لا شريك له.

٢- انتظام أمر العالم كله وإحكامه:

أدلُّ دليل على أنَّ مدبره إلهٌ واحد، وربٌّ واحدٌ لا شريك له ولا مُنازع.
قال تعالى: «مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ» (المؤمنون: ٩١).
فالإله الحق لا بد أن يكون خالقًا فاعلاً، فلو كان معه سبحانه إله آخر، يُشاركه في مُلكه- تعالى الله عن ذلك- لكان له خلق وفعل، وحينئذ فلا يرضى شركَةَ الإله الآخر معه؛ بل إن قدر على قهر شريكه وتفرَّد بالملك والإلهية دونَهُ؛ فعل. وإن لم يقدر على ذلك، انفرد بنصيبه في الملك والخلق؛ كما ينفرد ملوكُ الدنيا بعضهم عن بعض بملكه، فيحصل الانقسام. فلا بُدَّ من أحد ثلاثة أمور:
أ- إما أن يقهر أحدهما الآخر وينفردَ بالملك دونه.
ب- وإما أن ينفردَ كلُّ واحد منهما عن الآخر بملكه وخلقه؛ فيحصل الانقسام.
جـ- وإما أن يكونا تحت مَلِك واحد يتصرَّفُ فيهما كيف يشاء؛ فيكون هو الإلَهَ الحقَّ وهم عَبيدُه.
وهذا هو الواقعُ، فإنه لم يحصل في العالم انقسام ولا خلل؛ مما يَدُلُّ على أنَّ مدبره واحدٌ، لا منازع له، وأن مالكه واحد لا شريك له.

نسأل الله أن يفقهنا في ديننا ويحسن ختامنا ويتولى أمورنا؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

باب الاقتصاد الإسلامي



الضوابط الشرعية للمعاملات الاقتصادية

الحلقة الأولى

إعداد/ د. حسين حسين شحاتة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

يطلق على الضوابط أحياناً مصطلح المعايير الشرعية وتهدف إلى الآتي:

- الحكم على شرعية أو عدم شرعية المعاملة.
- تعتبر المرشد والمرجع عند إنجاز المعاملات.
- يتم في ضوئها تقويم الأداء، وتصويب المخالفات، وتطوير المعاملات إلى الأفضل.
- تحفيز المتعاملين على تحقيق رضا الله عز وجل، وتحقيق الارتياح النفسي، وجلب البركة.

ومن أهم هذه الضوابط ذات العلاقة بالمعاملات الاقتصادية ما يلي:

١ - تحقيق النية الصادقة وهي ابتغاء وجه الله:

يجب على المسلم قبل البدء في أي معاملة أن يستحضر النية الصادقة، وهي أن الغاية هي تحقيق رضاء الله عز وجل وعبادته، ومن ذلك:

- الإنفاق على الحاجات الأصلية للتقوية على عبادة الله.
- أداء الفرائض والقيام بالواجبات.
- إصلاح الأرض والرشد في استغلالها وعمارتها.
- المساهمة في أعمال البر والخير.

ودليل هذا الضابط من القرآن الكريم قول الله تبارك وتعالى: «قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» (الأنعام:١٦٢)، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى.. الحديث» (رواه مسلم).

ولقد استنبط فقهاء الاقتصاد الإسلامي هذا الضابط من القاعدة الفقهية: «الأعمال بالنيات والأمور بمقاصدها»، وتأسيسًا على ذلك يجب على كل مسلم قبل أن يهم بأي معاملة اقتصادية أن يجدد النية بأن هذا العمل ابتغاء مرضات الله عز وجل، وأن يكون العمل صالحًا ولوجهه خالصًا ليس فيه شيء لهوى النفس.

٢ - الالتزام بالحلال الطيب وتجنب الحرام الخبيث:

ويقصد بذلك أن تكون المعاملات مشروعة أي مطابقة لأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية، وكذلك أن تكون في مجال الطيبات، وتجنب الخبائث مهما كان قدرها.

ودليل هذا الضابط من القرآن الكريم قول الله تبارك وتعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ» (البقرة:١٦٨)، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا» (رواه مسلم).

وهذا الضابط مستنبَط من القواعد الشرعية الآتية:

- الأصل في المعاملات الإباحة (الحل) إلا ما حُرم بنص القرآن أو السنة أو الإجماع.
- وسائل الحرام حرام، بمعنى أن تكون الغاية مشروعة والوسيلة إليها مشروعة.
- من اختلط بماله الحلال حرام أخرج قدر الحرام والباقي حلال بهدف التطهير.
- أكل المال بالباطل حرام.

وتأسيسًا على ما سبق يجب على المسلم إذا همَّ بمعاملة ما أن يعرف: هل هي من الحلال

الطيب، عندئذ يُقبل عليها، وإذا كانت من الحرام الخبيث يمتنع عنها، ودليل ذلك ما روي في الأثر عن عبادة بن الصامت: «إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته، فإن كان خيراً فأمضه، وإن كان غياً فانتهَ عنه».

ودليل ذلك من القرآن الكريم قول الله تبارك وتعالى: (هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ) (البقرة: ٢٩)، ويقول عز وجل: «أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ» (لقمان: ٢٠)، والدليل من السنة النبوية الشريفة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن لينسى شيئاً وتلا: «وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِياً»» (رواه الحاكم وصححه وأخرجه البزار).

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدوداً فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها» (رواه الترمذي وابن ماجه).

٣- توثيق المعاملات بالعقود والعهود:

الالتزام بإبرام العقود والعهود المطابقة لشرع الله عز وجل، والقائمة على السلامة والرضا والحق والوضوح والعدل، ومستوفية كافة الشروط الواجبة، ولقد أكد الله سبحانه وتعالى على هذا الضابط بقوله عز وجل: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ» (البقرة: ٢٨٢)، وقوله سبحانه وتعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ» (المائدة: ١).

ومن مرجعية هذا الضابط من القواعد الفقهية ما يلي:

- الأصل في العقود اللزوم.
- المسلمون عند شروطهم إلا شرطاً أحل حرامًا أو حرم حلالاً.
- العبرة في العقود بالمقاصد.
- سلامة واستيفاء العقود والالتزام بها.

ويقصد بذلك أن تكون العقود وما في حكمها من العهود والوعود خالية مما يبطلها أو يفسدها حسب الأحوال، ومن أمثلة ما يفسدها على سبيل المثال: الغرر والجهالة والإذعان وكافة صور أكل أموال الناس بالباطل، ولقد أكد القرآن على ذلك بقول الله تبارك وتعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ » (النساء: ٢٩)، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاعتداء على أموال الغير، فقال صلى الله عليه وسلم: «كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه» (رواه مسلم).

كما يجب أن تكون العقود مستوفاة لكافة الشروط التي تضبط المعاملات لتجنب الغرر والجهالة التي تفضي إلى النزاع المشكل.

ويستند هذا الضابط إلى مجموعة من القواعد الفقهية منها:

- الغرر الكثير يفسد العقود، والغرر الكثير معفو عنه عند الضرورة.
- الجهالة المفضية إلى نزاع مشكل تبطل العقود.
- حرمة أكل أموال الناس بالباطل.
- الأصل في العقود اللزوم.
- مشروعية الغاية ومشروعية الوسيلة.

يعني ذلك أن تكون الغاية من المعاملات الاقتصادية مشروعة، أي: موافقة لأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية، وتكون الوسائل التي تستخدم لتحقيقها مشروعة، وأن الوسائل التي تؤدي إلى معاملات اقتصادية محرمة حرام، بمعنى: « مشروعية الغاية ومشروعية الوسيلة ».

ومن أدلة ذلك قول الله عز وجل: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ

عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » (التوبة: ٢٨)، فقد أمر الله سبحانه وتعالى بعدم التعامل مع المشركين عند الكعبة حتى ولو تحقق من وراء ذلك ربحٌ وفيرٌ.

ويرتكن هذا الضابط إلى القواعد الفقهية الآتية:

- وسائل الحرام حرام.
- مشروعية الوسيلة.
- حسن التعامل مع الناس.

يعتبر هذا الضابط من صور الالتزام بالأخلاق الحسنة والسلوكيات السوية مع الناس، فالدين المعاملة، والأخلاق الحسنة تقود إلى معاملات حسنة، والأخلاق السيئة تقود إلى معاملات سيئة.

ودليل هذا قول الله تبارك وتعالى: (وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا) (البقرة: ٨٣)، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إنما الدين المعاملة» (متفق عليه)، وقوله صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت» (رواه البخاري ومسلم).

ومن القواعد الفقهية التي توجب حسن المعاملة مع الناس جميعًا ما يلي:

- البيع بالتراضي.
- الدين المعاملة.
- التيسير ورفع الحرج عن الناس.

ويعني ذلك تسهيل المعاملات الاقتصادية في إطار الحلال والاختيار من بين البدائل المشروعة الأيسر منها، وذلك لرفع الحرج عن الناس، ودليل ذلك من القرآن الكريم قول الله تبارك وتعالى: (يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ) (البقرة: ١٨٥)، وقوله عز وجل: « وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ » (الحج: ٧٨)، ومن وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا» (رواه مسلم).

ويستند هذا الضابط إلى القواعد الشرعية الآتية:

- اليسير الحرام معفو عنه في كثير من الأحوال.
- الغرر اليسير لا يفسد العقود.
- المعروف عرفًا كالمشروط شرطًا.
- إذا ضاق الأمر اتسع.
- الضرورات تبيح المحظورات بضوابطها.

ويقصد بذلك أنه في حالة الضرورة لا حرج من المعاملات المنهي عنها شرعاً، ولهذه الضرورة ضوابط شرعية ولا يجب أن تترك لهوى النفس، وأحيانًا تنزل الحاجة منزلة الضرورة، لأن المشقة توجب التيسير، ودليل ذلك من القرآن الكريم قول الله تبارك وتعالى: « فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » (البقرة: ١٧٣).

ومرجعية هذا الضابط من القواعد الفقهية ما يلي:

- إذا ضاق الأمر اتسع.
- المشقة توجب التيسير.
- الحاجة تنزل منزلة الضرورة.
- وجوب تطهير الأموال من الحرام بعد التوبة الصادقة.

لقد حرمت الشريعة الإسلامية المال المكتسب من معاملات منهي عنها شرعًا، ويجب تحريزه وتجنيبه والتخلص منه في وجوه الخير العامة وليس بنية التصدق، مع التوبة والاستغفار والعزم الأكيد على تجنبه، والإكثار من الأعمال الصالحات لتكفير الذنوب، ودليل ذلك من القرآن الكريم قول الله تبارك وتعالى: (إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) (الفرقان: ٧٠)، ومن السنة قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن العبد إذا أذنب ذنبًا، نكت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ورجع واستغفر صقل قلبه منها.. الحديث» (رواه الترمذي).

ومرجعية هذا الضابط القاعدة الفقهية: «من اختلط ماله الحلال بالحرام يجب عليه إخراج قدر الحرام والباقي حلال»، ويتم التخلص من الحرام في وجوه الخير وليس بنية التصدق.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

لمثل هذا فليعمل العاملون

الحلقة الثانية

إعداد/ د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد: استكمالاً لما سبق الشروع في بيانه من التذكير بوقت الاحتضار والقدوم على الملك الجبار، وما ينبغي للعبد من الاستعداد والتوبة وحسن الرجوع والأوبة ليوم اللقاء والمثوبة أو اللقاء والعقوبة أعاذنا الله وإياكم من بوار السلع وسوء اللقاء.

ولا تزال الصحبة في ذلك مع حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه في البخاري وغيره من كتب السنن مما سبق بيان تخريجه في حلقتنا السابقة.

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ» قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ: إِنَّا لَنَكْرَهُ المَوْتَ، قَالَ: «لَيْسَ ذَاكِ، وَلَكِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ المَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ».

مما يستفاد من الحديث غير ما سبق بيانه

أولاً: لقاء الله ورؤيته:

الكلام في اللقاء والرؤية من مسائل اعتقاد أهل السنة التي تحدو الأرواح إلى بلاد الأفراح، وفي تقريره لذلك يقول شيخ الاسلام ابن قيم الجوزية في كتابه الماتع (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص: ٢٨٥)): "هذا الباب أشرف أبواب الكتاب، وأجلها قدرًا، وأعلاها خطرًا، وأقرها عينًا لأهل السنة والجماعة، وأشدها على أهل البدعة والضلالة، وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون، وتنافس فيها المتنافسون، وتسابق إليها المتسابقون، ولمثلها فليعمل العاملون، إذا نالها أهل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم وحرمانه، والحجاب عنه لأهل الجحيم أشد عليهم من عذاب الجحيم، اتفق عليها الأنبياء والمرسلون وجميع الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام على تتابع القرون، وأنكرها أهل البدع المارقون والجهمية المتهوكون والفرعونية المعطلون والباطنية الذين هم من جميع الأديان منسلخون، والرافضة الذين هم بحبائل الشيطان متمسكون ومن حبل الله منقطعون، وعلى مسبة أصحاب رسول الله عاكفون، وللسنة وأهلها محاربون، ولكل عدو لله ورسوله ودينه مسالمون» انتهى.

ولهذه الأهمية أفاض رحمه الله في تقرير عقيدة السلف في هذا، فخط على ما يزيد على الخمسين صفحة، وانتهى إلى أن اللقاء يقتضي الرؤية بعد المسير موافقًا في ذلك شيخه ابن تيمية حين قرر ذلك في مجموع الفتاوى (٣٤٢/٦) كما نقل إجماع أهل اللغة على أن اللقاء المعاينة بالأبصار ثم قال في نفس المصدر مقررًا ما دل عليه: «قد دل القرآن والسنة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام وأهل الحديث عصابة الإسلام ونُزل الإيمان وخاصة رسول الله على أن الله سبحانه وتعالى يُرى يوم القيامة بالأبصار عيانا كما يرى القمر ليلة البدر صحوًا، وكما تُرى الشمس في الظهيرة».

والله تبارك وتعالى يلقاه المؤمنون والكفار: وفي تقريره لذلك في (مجموع الفتاوى ٤٦٦/٦) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وظاهر الأدلة يدل على أن الكفار يلقون ربهم ويرونه يوم القيامة، كما هو قول طائفة من السلف".

فقد أخبر القرآن أنه يلقاه الكفار ويلقاه المؤمنون، كما قال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا» (الانشقاق:٦-١٢).

وقد تنازع الناس في الكفار: هل يرون ربهم مرة ثم يحتجب عنهم، أم لا يرونه بحال، تمسكاً بظاهر قوله: «كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ» (المطففين:١٥)،

ولأن الرؤية أعظم الكرامة والنعيم، والكفار ليس لهم حظ في ذلك.

فقالت طوائف من أهل الحديث والتصوف: بل يرونه ثم يحتجب، كما دل على ذلك الأحاديث الصحيحة التي في الصحيح وغيره، من حديث أبي سعيد وأبي هريرة وغيرهما مع موافقة ظاهر القرآن، قالوا: وقوله: «لَمَحْجُوبُون» يشعر بأنهم عاينوا ثم حجبوا، ودليل ذلك قوله: «إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ»، فعلم أن الحجب كان يومئذ. فيشعر بأنه يختص بذلك اليوم، وذلك إنما هو في الحجب بعد الرؤية، فأما المنع الدائم من الرؤية فلا يزال في الدنيا والآخرة، قالوا: ورؤية الكفار ليست كرامة ولا نعيماً؛ إذ اللقاء ينقسم إلى لقاء على وجه الإكرام، ولقاء على وجه العذاب، فهكذا الرؤية التي يتضمنها اللقاء.

ومما احتجوا به ما رواه مسلم وغيره من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال " قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال هل تضارُّون في رؤية الشمس ليست في سَحابة؟ قالوا: لا قال: والذي نفسي بيده، لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما،...الحديث".

وهذا الحديث معناه في الصحيحين وغيرهما من وجوه متعددة، يصدق بعضها بعضاً، وفيه أنه سئل عن الرؤية فأجاب بثبوتها، ثم أتبع ذلك بتفسيره وذكر أنه يلقاه العبد، والمنافق، وأنه يخاطبهم.

ولقاء الله لا يكون إلا بعد الموت خلافاً لمن ابتدع غير هذا، فلا يكون قبل يوم القيامة وكذلك رؤيته سبحانه خلافاً لمن ابتدع في ذلك فأثبت الرؤية في الدنيا أو أنكرها في الآخرة، يقول ابن القيم رحمه الله في حادي الأرواح) (ص: ٣٤٢): "والمنحرفون في باب رؤية الرب تبارك وتعالى نوعان؛ أحدهما من يزعم أنه يُرَى في الدنيا، ويُحاضر ويُسامر، والثاني من يزعم أنه لا يُرى في الآخرة البتة ولا يُكلم عباده وما أخبر الله به ورسوله وأجمع عليه الصحابة والأئمة يكذب الفريقين" انتهى.

وإن كانت الأدلة الوافرة قد قررت لقاء الله بعد الموت فإن نفيه قبل الموت صح الدليل فيه في صحيح مسلم من حديث أبي أمامة مرفوعا في حديث طويل وفيه "‥ واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا."

ثانياً: وكما أن اللقاء بعد الموت فليس هو الموت:

فَقد أَخْرَجَ مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيّ من طَرِيق شُرَيْح بن هانئ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَة (فذكر أَصْل الْحَدِيث) قَالَ: فَأَتَيْتُ عَائِشَة فَقُلْتُ سَمِعْتُ حَدِيثًا إِنْ كَانَ كَذَلِكَ فَقَدْ هَلَكْنَا فَذَكَرَهُ، قَالَ: وَلَيْسَ مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ يَكْرَهُ الْمَوْت، فَقَالَتْ لَيْسَ بِالَّذِي تَذْهَبُ إِلَيْهِ، وَلَكِنْ إِذَا شَخَصَ الْبَصَرُ... أَيْ فتحَ الْمُحْتَضَرُ عَيْنَيْه إِلَى فَوْقُ، فَلَمْ يَطْرِفْ وَحَشْرَجَ الصَّدْرُ... أَيْ تَرَدَّدَتْ الرُّوحُ فِي الصَّدْر وَاقْشَعَرَّ الْجِلْدُ وَتَشَنَّجَتْ... أَيْ تَقَبَّضَتْ وَهَذِهِ الْأُمُورُ هِيَ حَالَةُ الْمُحْتَضَر، وَكَأَنَّ عَائِشَة أَخَذَتْهُ مِنْ مَعْنَى الْخَبَر الَّذِي رَوَاهُ عَنْهَا سَعْدُ بْنُ هِشَام مَرْفُوعًا وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ أَيْضًا عَنْ شُرَيْح بن هَانِيء عَنْ عَائِشَة مِثْل رِوَايَته عَنْ أَبِي هُرَيْرَة وَزَادَ فِي آخره: وَالْمَوْتُ دُونَ لِقَاء الله، وَهَذِهِ الزِّيَادَة مِنْ كَلَام عَائِشَة فِيمَا يَظْهَرُ لِي (أي: لابن حجر) ذَكَرَتْهَا اسْتِنْبَاطًا مِمَّا تَقَدَّمَ... قَالَ الْخَطَّابِيُّ تَضَمَّنَ حَدِيثُ الْبَابِ مِنْ التَّفْسِير مَا فِيهِ غُنْيَةٌ عَنْ غَيْره. (ينظر: فتح الباري: ١١/ ٣٥٩).

ثالثاً: ولا تتعارض محبة لقاء الله
مع حديث النهي عن تمني الموت:

إذ إن كراهة الموت لذاته أمر جبليّ؛ كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (كلنا يكره الموت)، ولكن البحث والجواب على ما سبق في كراهة الموت لما بعده وحال الإنسان في هذا ينقسم إلى حالين:

الأول: لحظة الاحتضار والنزع؛ إذ لا مزيد في الإحسان، وهنا يكون تمني الموت محموداً، وكراهته مذمومة ليس لذات الموت، وإنما لما بعد الموت من محبة لقاء الله، وهو المراد بحب المؤمن للقاء الله. قَالَ النَّوَوِيّ: "المحبة وَالْكَرَاهَة الْمُعْتَبَرَة هِيَ الَّتِي تكون عِنْد النزع في حَالَة لَا تقبل التَّوْبَة، فَحِينَئِذٍ يكْشف لكل إِنْسَان مَا هُوَ صائر إِلَيْه، فأهل السَّعَادَة يحبون الْمَوْت ولقاء الله لينتقلوا إِلَى مَا أعد الله لَهُم. وَيُحب الله لقاءهم ليجزل لَهُم الْعَطاء والكرامة، وأهل الشقاوة يكرهونه لما علموا من سوء مَا ينتقلون إِلَيْه وَيكرهُ الله لقاءهم أي: يبعدهم عَن رَحمته وَلَا يُرِيد لَهُم الْخَير" انتهى.

الثاني: حال حياته الدنيا المستمرة ويرجى منه العمل ومزيد الإحسان وهنا يكون تمني الموت مذموماً ومنهياً عنه كما في الحديث: "لا يتمنين أحدكم الموت؛ فإن كان محسناً فلعله يزداد، وإن

كان مسيئاً فلعله يُستعتب" أي: يتوب، ويصلح حاله. (ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١١٥٧/٣)، (عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٩٣/٢٣»، (شرح النووي على مسلم (٩/١٧)، (فتح الباري لابن حجر (٣٥٨/١١»، (شرح رياض الصالحين (٦٦٢/٦».

وفي الجمع بين الحديثين حديث النهي عن تمني الموت وحديث الحث على محبة لقاء الله، وشرح العلماء لهما، ودفع ما يوهم التعارض بينهما لهو رد على غير الفاهمين للسنة النبوية، وتذكير بالتوبة لمن تسرب الإنكار إلى قلبه والبحث في هذا الباب (أي باب مختلف الحديث وكذلك مشكله) من الأهمية بمكان؛ إذ هو دفاع عن السنة ضد من طرح شبهاته لرد السنة من هذا الباب، فقيض الله لدينه من العلماء الربانيين من يدحضون شبه هؤلاء فامتلأت أرحام المكتبات بمؤلفات لم تترك لأمثال هؤلاء سبيلاً، ومن ذلك: (كتاب اختلاف الحديث للإمام الشافعي (٢٠٤هـ)، ويعتبر هذا الكتاب أول مؤلَّف في هذا الفن، تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (٢٧٦هـ. ومما يحذر منه (مشكل الحديث وبيانه: لمحمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني (٤٠٦هـ)، والخاص بأحاديث العقيدة المتعلقة بالأسماء والصفات، فأورد جملةً منها زاعماً أن ظاهرها يوهم التشبيه والتجسيم، ثم ذهب يؤولها ويصرفها عن ظاهرها المراد منها، بما يتوافق مع مذهبه الأشعري، ويبوب في الغالب (ذكر خبر مما يقتضي التأويل ويوهم ظاهره التشبيه).

والحمد لله رب العالمين.

الفكر الإسلامي

الحلقة الثالثة

إعداد/ أ.د/أحمد منصور سبالك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

تكلمنا في المقالة السابقة حول «الدين»، وبينا أنه يشتمل على حقوق وواجبات؛ واجبات يؤديها المكلَّف له بها عند الله تعالى حقوق.

ومن المعهود عند أهل العلم أن الحقوق أربعة:

- حق خالص لله تعالى، وهو يتمثل في العبادات.
- وحق خالص للعبد، ويتمثل في المعاملات.
- وحقان مختلطان بين العبد وبين الرب عز وجل.
- حق مختلط بين العبد وبين الرب، لكن حق الرب فيه أغلب، كبعض الحدود مثل حد السرقة، فإذا تنازل المسروق منه عن حقه، لا مفر من إقامة الحد؛ لأن حق الله في هذا أغلب؛ لأنه يدخل فيه أمن المجتمع بأسره.
- وحق مختلط بين العبد وبين الرب، وحق العبد فيه أغلب؛ كالقصاص فقد جُعل الحقّ في يد ولي الدم؛ لعدم إيغار الصدور.

الحاصل من كلام أهل العلم: أننا نتكلم عن دين فيه من الأحكام ما هو من الثوابت، وفيه من الأحكام ما هي متغيرات.

لذا عزمت أن أتحدث اليوم بين أيديكم حول: الثوابت والمتغيرات، ليعلم المتحري أين موقع الفكر بينهما.

أيكون الفكر في الثوابت؟

أم يكون في المتغيرات؟

فتعالوا نتعرف على الثوابت والمتغيرات في شريعة رب الأرض والسماوات.

أما الثوابت: فهي كلمة جمع، مفردها ثابت، أي

مستقر دائم، وعليه فالأحكام الموسومة بأنها من الثوابت تجد فيها صفة الديمومة والاستقرار.

وقد بيَّن أهل العلم كالشاطبي أنها خمسة أنواع من الأحكام، وهي: الأصول العقدية، والفرائض الركنية، والأحكام القطعية، والمقاصد الكلية، والقيم الأخلاقية.

وليس المجال مجال تفصيل لهذه الخمسة، بل ذكرهم يكون على سبيل الإجمال، فأقول:

أولاً: الأصول العقدية، وهي أصول الدين الكلية، والتي وردت في سؤال الملكين في القبر عن (الله تعالى) والدين الإسلامي، والنبي الكريم صلى الله عليه وسلم.

وثانيًا: الفرائض الركنية، وهي التي وردت في حديث عبد الله بن عمر عند مسلم وغيره: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقامة الصلاة، وصوم رمضان، وإيتاء الزكاة، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً».

وثالثًا: الأحكام القطعية، وهي التي مثل لها إمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل بأنها المعلوم من الدين بالضرورة، كحل البيع وحرمة الربا، وحل الزواج وحرمة الزنا.. وهكذا.

ورابعًا: المقاصد الكلية، وهي غايات هذا الدين المجمع عليها في حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل.

وآخرها: القيم الأخلاقية، والخُلق هو الطابع الذي يخرج من الإنسان حينما يتعرض إلى إخراجه دون أن يفكر: أيخرجه أم لا؟

والخُلق هو الفضيلة بين الرذيلتين، فالكرم: خُلق بين الإسراف والبخل، وهكذا سائر الأخلاق.

وأما المتغيرات: فهي جمع متغير وهو ما ليس بثابت ولا مستقر، فهي بخلاف الثوابت، فهي تتجدد ولا تثبت ولا تستقر.

ووضح أهل العلم كابن القيم أن: الأحكام المتغيرة هي التي تغيرت بتأثير من خمسة أشياء:

«المكان، والزمان، والأشخاص، والعادات، وما سكت عنه الشرع»، ولهذا خصصوا المتغيرات بالفتاوى التي تخص الشخص المستفتي، ومكانه وزمانه، وحاله وعاداته وتقاليده، كما خصصوا الثوابت بالأقضيات التي لا تتأثر بتلك الخمسة، لثباتها واستقرارها.

وقد مررت على ذكر الثوابت والمتغيرات لأجعل هذا الكلام خاتمة الحديث عن المقدمات التي عقدت الكلام عليها قبل الكلام عن الفكر؛ لتعلم الإجابة عن الأسئلة الأولى في أول مقال كتبته لك.

كيف نفكر؟ ومتى نفكر؟ وفي أي موقع من الدين نفكر؟ وهذا لنضبط الفكر.

وبعد ذلك يجب علينا أن نجيب عن السؤال المنتظر من أول حلقة معكم في سلسلة هذه المقالات عن الفكر الإسلامي، ألا وهو: ما هو الفكر؟ وكيف نصفه بأنه: فكر إسلامي؟!

قلتُ: لا بد من الوصف: (إسلامي) أن يكون له شروط وضوابط، فليس كل كلام إنسان في دين الله تعالى نستطيع أن نسميه فكرًا إسلاميًا.

فما هو الفكر؟

هذا سؤال نجيب عنه في المقالة القادمة إن شاء الله وقدر، سائلين المولى عز وجل أن ينفع القارئ والكاتب بما كتب، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلّ اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم.

القسم الثاني

الحلقة (٥٣)

درر البحار في تحقيق ضعيف الأحاديث القصار

إعداد/ علي حشيش

٤٧٨- "مَنْ صَامَ يَوْمًا تَطَوُّعًا لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ أَحَدٌ لَمْ يَرْضَ اللَّهُ لَهُ بِثَوَابٍ دُونَ الْجَنَّةِ".

الحديث لا يصح: أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٢٧٨/١) من حديث سهل بن سعد مرفوعًا، ومن حديث أبي هريرة مرفوعًا أيضا، وعلته في الطريقين سليمان بن عمرو، وهو أبو داود النخعي، أخرج الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٢٤٥/٣) (٧٣٣/١) قال: حدثنا علان ثنا ابن أبي مريم قال: سمعت يحيى يقول: «أبو داود النخعي ممن يعرف بوضع الحديث».

وأخرج بسنده عن يحيى قال: «كان أكذب الناس سليمان بن عمرو».

وقال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين»: سليمان بن عمرو أبو داود النخعي، كان يضع الحديث وضعًا، وكان قدريًا، لا تحل كتابة حديثه إلا على وجه الاختيار ولا ذكره إلا من طريق الاعتبار.

وقال الحافظ الذهبي في «الميزان» (٣٤٩٥/٢١٦/٢): سليمان بن عمرو أبو داود النخعي الكذاب. ثم نقل من الإمام البخاري قال: متروك رماه قتيبة وإسحاق بالكذب، وقال يزيد بن هارون: لا يحل لأحد أن يروي عنه.

وأقرَّ الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (١١٥/٣) (٣٩١٨/٣٣٥): ما نقله الإمام الذهبي في «الميزان» ثم نقل عن الإمام ابن المديني: «كان من الدجالين»، وعن ابن راهويه قال: «لا أدري في الدنيا أكذب منه».

وقال ابن عبد البر: هو عندهم كذاب، يضع الحديث وتركوا حديثه، ثم قال الحافظ ابن حجر: الكلام فيه لا يحصر، فقد كذبه ونسبه إلى الوضع من المتقدمين والمتأخرين، ممن نقل كلامهم في الجرح والعدالة فوق الثلاثين نفسًا. اهـ.

٤٧٩- "عَمَلُ الأَبْرَارِ مِنْ رِجَالِ أُمَّتِي الْخِيَاطَةُ، وَعَمَلُ الأَبْرَارِ مِنَ النِّسَاءِ الْمِغْزَلُ".

الحديث لا يصح: أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٥/٩) عن أبي داود النخعي عن أبي حازم عن سهل بن سعد مرفوعًا، ومن هذا الطريق أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٢٤٧/٣)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢٥١/٢) وقال: هذا حديث لا يصح، وأبو داود النخعي اسمه سليمان بن عمرو كان كذابًا. اهـ.

ولقد بينا آنفًا أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه، وأنه كان أكذب الناس، وقال الذهبي: «قبح الله من وضعه». اهـ.

٤٨٠- "قَلِيلٌ مِنَ التَّوْفِيقِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْعِلْمِ".

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٣٢/١) بصيغة الجزم عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجد له أصلاً». اهـ.

٤٨١- " أَطْعِمُوا نِسَاءَكُمْ فِي نِفَاسِهِنَّ التَّمْرَ، فَإِنَّهُ مَنْ كَانَ طَعَامَهَا فِي نِفَاسِهَا التَّمْرُ خَرَجَ وَلَدُهَا

ذَلِكَ حَلِيمًا، فَإِنَّهُ كَانَ طَعَامَ مَرْيَمَ حَيْثُ وَلَدَتْ عِيسَى، وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ طَعَامًا كَانَ خَيْرًا لَهَا مِنَ التَّمْرِ أَطْعَمَهَا إِيَّاهُ".

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ الخطيب في «تاريخ بغداد» (٢٦٦/٨) من طريق سليمان بن عمرو عن سعد بن طارق عن سلمة بن قيس مرفوعًا، وآفته سليمان بن عمر، وأبو داود النخعي الكذاب كان يضع الحديث وضعًا كما بينا آنفًا.

٤٨٢- "من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد إحدى عشرة مرة، فكأنما عبد الله تعالى اثنتي عشرة سنة صيام نهارها وقيام ليلها".

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٢٠١/١) بصيغة الجزم عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «باطل لا أصل له». اهـ.

٤٨٣- "خيرُ الرِّزقِ ما كان يومًا بيوم كفافًا".

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٢٤٧/٣) من طريق عيسى بن موسى الفنجار عن أبي داود عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر عن أنس بن مالك مرفوعًا أخرجه في جملة أحاديث لأبي داود النخعي سليمان بن عمرو، ثم قال: «وهذه الأحاديث التي ذكرتها عن سليمان بن عمرو كلها موضوعة مما وضعها هو عليهم». اهـ. ولقد بينّا حاله من الكذب ووضع الحديث.

٤٨٤- " لِكُلِّ نَبِيٍّ خَلِيلٌ فِي أُمَّتِه، وَإِنَّ خَلِيلِي عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ".

الحديث لا يصح، أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢٠٢/٥) من حديث إسحاق بن نجيح عن عطاء الخراساني عن أبي هريرة مرفوعًا، وقال: «غريب من حديث عطاء لم نكتبه إلا من هذا الوجه».

قال الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٣٨٢/٨٠/٢): «إسحاق بن نجيح الملطي روى عن عطاء بن أبي مسلم الخراساني وآخرين، وروى عنه يزيد بن هارون الخلال وآخرون وهو أحد الضعفاء والمتروكين والكذبة والوضاعين، قال يحيى بن معين: «إسحاق بن نجيح الملطي كذاب، عدوّ لله، رجل سوء خبيث من المعروفين بالكذب ووضع الحديث». وقال البخاري: «منكر الحديث»، وقال النسائي: متروك». اهـ.

فائدة: ومما يدل على كذب الملطي هذا الحديث الموضوع المخالف للحديث الصحيح المتفق عليه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن من أمنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذًا خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام...». البخاري (ح٣٦٥٤)، ومسلم (٢٣٨٢) من حديث أبي سعيد الخدري.

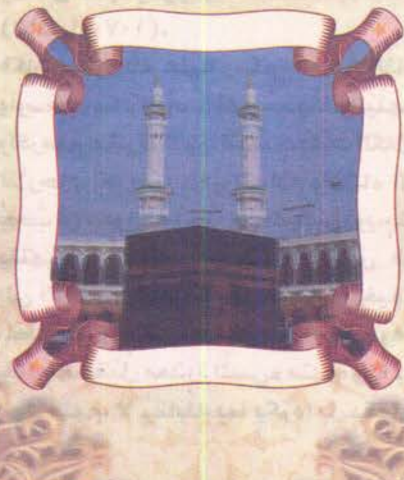
فائدة أخرى: «المتفق والمفترق» ذكره السيوطي في «التدريب» النوع (٥٤): قال: ومنه من اتفقت أسماؤهم وأسماء آبائهم وقد زلق بسببه غير واحد من الأكابر» أ.هـ قلت : ومنه إسحاق بن نجيح فهما اثنان: الأول: الذي ذكرناه في هذا الحديث وهو الملطي، والآخر: قال الحافظ ابن حجر في «التقريب». قلت: ولم يرو له إلا أبو داود، وروى له حديثًا واحدًا في «السنن» (ح٢٦٦٤): قال: حدثنا محمد بن عيسى حدثنا إسحاق بن نجيح وليس بالملطي عن مالك بن حمزة بن أبي أسيد الساعدي عن أبيه عن جده قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر: « إِذَا أَكْثَبُوكُمْ فَارْمُوهُمْ بِالنَّبْلِ». الحديث.

منبر الحرمين

سماحة النبي صلى الله عليه وسلم

إعداد/ د. ماهر بن حمد المعيقلي

إمام المسجد الحرام



الحمدُ لله الذي تكَّرمَ علينا بدين الإسلام، وجعل السماحةَ فيه منهجًا للأنام، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له شرَّفنا بهذا الدين، وأمرَنا باتباع هَديه المُبين، وأشهدُ أن نبيَّنَا محمدًا عبدُه ورسولُه، بعثَهُ ربُّه رحمةً للعالمين، صلَّى الله عليه وعلى آله في الأولين والآخرين، وصحابته الغرِّ الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعدُ.. معاشر المؤمنين: فأوصي نفسي وإياكم بتقوى الله- عز وجلَّ-.

الإسلام دين السماحة:

أمةَ الإسلام: نشهدُ في عالمنا اليوم إلصاقَ شُبَه بالإسلام وأهله، تتمثَّلُ في وصف هذا الدين العظيم وأتباعه بالتعصُّب والطائفية، والعُنف والشدَّة. والإسلامُ بريءٌ من ذلك؛ فهو دين الرحمة والعدالة، والتسامُح والمحبة.

فعن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: سُئل النبيُّ-صلى الله عليه وسلم-: أيُّ الأديان أحبُّ إلى الله- عزَّ وجل-؟ قال: «الحنيفيةُ السَّمحةُ» (رواه أحمد بسند حسن).

فهي حنيفيَّةٌ في التوحيد، سَمحَة في العمل. ولما بعَثَ النبيُّ-صلى الله عليه وسلم- مُعاذًا وأبا موسى إلى اليمن، قال: «يسِّرا ولا تُعسِّرا، وبشِّرا ولا تُنفِّرا، وتطاوعا ولا تختلِفا» (متفقٌ عليه).

وصدقَ الله إذ يقول: (مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ) (المائدة: ٦).

قال ابن كثير- رحمه الله-: "أي: لعلكم تشكرون نعمَه عليكم فيما شرَعه لكم؛ من التوسعة والرأفة والرحمة، والتسهيل والسماحة". اهـ كلامُه- رحمه الله-.

وها هو-صلى الله عليه وسلم- يحُثُّ على السماحة في المُعامَلة، والتحلِّي بمعالي الأمور، وترك المُشاحَّة، ويدعُو-صلى الله عليه وسلم- بالرحمة لمن تحلَّى بذلك.

ففي "صحيح البخاري": عن جابر بن عبد

الله- رضي الله عنهما-، أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- قال: «رحمَ الله رجلاً سَمْحًا إذا باعَ، وإذا اشترى، وإذا اقتضى».

وما خُيِّرَ رسولُ الله-صلى الله عليه وسلم- بين أمرَين، إلا اختارَ أيسَرَهما ما لم يكُن إثمًا.

قال جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما-: "كان رسول الله-صلى الله عليه وسلم- رجلاً سهلاً".

قال النووي- رحمه الله-: "أي: سهل الخُلُق، كريمَ الشمائل، لطيفًا مُيسَّرًا في الخُلُق، كما قال الله تعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم: ٤).

بعض مظاهر سماحة النبي صلى الله عليه وسلم:

وتتجلَّى هذه السماحةُ والرحمةُ- يا عباد الله- في صُور شتَّى من حياة النبي-صلى الله عليه وسلم- ، في عباداته ومُعاملاته، وفي سُلوكه وأخلاقه، مع قرابَته وأصحابه، وأصدقائه وأعدائه، فكان- صلى الله عليه وسلم- رحمةً للخلق كلِّهم، دون اعتبار لجنسهم أو دينهم.

ففي غزوة بدر الكبرى، كان مع أسرَى المشركين أبو العاص بن الربيع، زوجُ زينب بنت رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، فلما بعَثَ أهلُ مكة في فداء أسراهم، بعثَت زينبُ في فداء أبي العاص بمال، وبعَثَت فيه بقلادة لها كانت عند خديجةَ، أدخَلَتها بها على أبي العاص، فلما رآها رسولُ الله- صلى الله عليه وسلم-، رقَّ لها رقَّةً شديدةً، وترحَّم على خديجة، وقال لأصحابه: «إن رأيتُم أن تُطلقُوا لها أسيرَها، وتَرُدُّوا عليها الذي لها»، قالوا: نعم يا رسول الله (رواه أبو داود بسند حسن، من حديث عائشةَ- رضي الله عنها وأرضاها-.

وفي "الصحيحين" و"مسند الإمام أحمد"، من حديث جابر- رضي الله عنهما- قال: كنَّا مع رسول الله-صلى الله عليه وسلم- بذات الرِّقاع، فإذا أتَينَا على شجرةٍ ظَليلَة، ترَكنَاها لرسول الله-صلى الله عليه وسلم-، فجاء رجلٌ من المشركين حتى قام على رأس رسول الله-صلى الله عليه وسلم- بالسيف، فقال: من يمنَعُك مني؟ قال: «الله»، فسقطَ السيفُ من يدِه، فأخذَه رسولُ الله-صلى الله عليه وسلم- فقال: «من يمنَعُك منِّي؟»، قال: كُن كخير آخِذ، قال: «أتشهَدُ أن لا إله إلا الله؟»، قال: لا، ولكني أُعاهدُك ألا أُقاتِلَك، ولا أكونُ مع قوم يُقاتِلُونك. فخَلَّى سبيلَه-صلى الله عليه وسلم-.

قال: فذهَبَ إلى أصحابه فقال: قد جِئتُكم من عند خير الناس.

فلم يُجبره-صلى الله عليه وسلم- على الإسلام، ولم يُعاقِبه على فعلَته، فدخَلَ الإسلامُ في قلبه، ورجَعَ إلى قومه، فاهتَدَى به خلقٌ كثير.

ومن عظيم سماحَته-صلى الله عليه وسلم- : دُعاؤه للمشركين رجاءَ أن يهدِيَ الله قلوبَهم للإسلام.

ففي "الصحيحين" من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قدمَ الطُّفيلُ وأصحابُه فقالوا: يا رسول الله! إن دَوسًا قد كفَرَت وأبَت، فادعُ الله عليه، فقيل: هلَكَت دَوس، هلَكَت دَوس، فقال-صلى الله عليه وسلم-: «اللهمَّ اهد دَوْسًا وائت بهم، اللهمَّ اهد دَوْسًا وائت بهم».

ولقد فطِنَ إلى ذلك يهُود، فكانوا يتظاهَرُون بالعُطاس عند النبي-صلى الله عليه وسلم-، رجاءَ أن يدعُو لهم بالرحمة، فلم يحرمهم-صلى الله عليه وسلم- من الدعاء لهم بالهداية والصلاح.

ففي "سنن الترمذي" بسند صحيح، عن أبي موسى الأشعري- رضي الله عنه- قال: كان اليهود يتعاطَسُون عند النبي-صلى الله عليه وسلم-، يرجُون أن يقول لهم: يرحَمُكم الله، فيقولُ-صلى الله عليه وسلم-: «يهديكم الله ويُصلحُ بالَكم».

وصدقَ الله إذ يقول: (وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ) (الأنبياء: ١٠٧).

فكان-صلى الله عليه وسلم- أحسَنَ الناس خُلُقًا، وأوسَعَهم صَدرًا، وأصدَقهم حديثًا، وألَيَنَهم عريكةً، وأكرَمهم عِشرة، كثيرَ التبسُّم، طيِّبَ الكلام، وَصُولاً للأرحام، حريصًا على السلام وإفشاء السلام، لا يُحبُّ أن يقوم له أحدٌ من المجلس، ويجلسُ حيث ينتهي به المجلس، يُخالطُ الناسَ فيُرشدُهم إلى الأمانة، وينهَاهم عن الغشِّ والخيانة، حسَنَ المُصاحَبة والمُعاشرة، يغُضُّ عن أخطاء وهفَوَات من خالَطَه، يقبَلُ معذرةَ المُسيء منهم، وإذا بلَغَه خطأُ أحدٍ منهم، لا يُقابِلُه بما يكرَه؛ بل يقول: «ما بالُ

أقوام يفعلون كذا وكذا؟».
يتلطَّفُ إلى من حولَه، حتى يظُنَّ كلُّ واحد منهم أنه أحبُّ الناس إليه، يستشيرُ ذوي الرأي والمشورة منهم، مع أنه تميَّزَ بتأييد الوحي عنهم، يُشاركُ أصحابَه فيما يعمَلون، ويتحمَّلُ من الصعاب ما يتحمَّلون، ويُوجزُ ذلك الخليفةُ الراشدُ عثمانُ- رضي الله عنه وأرضاه- بقوله في بيان سماحة النبي-صلى الله عليه وسلم-، فيقول: "إنا واللهِ قد صحبنا رسولَ اللهِ-صلى الله عليه وسلم- في السفر والحضر، فكان يعودُ مرضَانا، ويتبَعُ جنائزَنا، ويغزُو معَنا، ويُواسِينا بالقليل والكثير" (رواه أحمد بإسناد حسن).

فضل انتشار السماحة والرحمة في المجتمعات:

معاشر المؤمنين: إن مما لا شكَّ فيه: أن السماحة والرحمة تُثمرُ مُجتمعًا يسودُه الحبُّ والتراحُم، والتعاوُنُ والتلاحُم، وكما قيل: النفسُ السَّمحةُ كالأرض الطيبة، إن أردتَّ عُبورَها هانَت، وإن أردتَّ زراعتَها لانَت، وإن أردتَّ البناءَ فيها سهُلَت، وإن شئتَ النوم عليها تمهَّدَت.

وفي "صحيح البخاري"، من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه وأرضاه-، أن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال: «إن الدينَ يُسرٌ، ولن يُشادَّ الدينَ أحدٌ إلا غلبَه، فسدِّدوا وقارِبُوا وأبشِرُوا، واستعِينُوا بالغدوَة والرَّوْحة وشيءٍ من الدُّلْجَة».

سماحةٌ ويُسرٌ في العقائد والعبادات، والآداب والأخلاق؛ فعقيدتُه أصحُّ العقائد وأقوَمُها، وعباداتُه أحسن العبادات وأعدَلُها، وأخلاقُه أزكى الأخلاق وأتمُّها وأكمَلُها، فهو دينٌ لا حرَجَ فيه ولا شدَّة، ولا تعسيرَ ولا مشقَّة.

وقد ندَبَ الإسلام كثيرًا إلى التحلِّي بخُلُق السماحة في المُجتمعات، وجعل ذلك في مقام العبادات؛ فإظهارُ البشاشَة والبشر عبادة، وإماطَةُ الأذى عن الطريق عبادة، وعيادةُ المريض عبادة، وإكرامُ الضيف عبادة، واللُّقمةُ يضَعُها الرجلُ في فَم زوجته عبادة، وشُكر الله تعالى على اليُسر والسماحة عبادة، وكفُّ الأذى عن الناس عبادة، وكلُّ عملٍ أُريدَ به وجه الله عبادة.

ففي "الصحيحين" من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسولُ الله-صلى الله عليه وسلم-: «كلَّ يوم تطلعُ فيه الشَّمسُ، تعدلُ بين الاثنين صَدقةٌ، وتُعينُ الرَّجلَ في دابَّته فتحملُه عليها أو ترفعُ له عليها مَتاعَه صدقةٌ، والكلمةُ الطَّيِّبةُ صَدقةٌ، وكلُّ خُطوة تَمشيها إلى الصَّلاة صدقةٌ، وتُميطُ الأذى عَن الطَّريق صدقةٌ».

إن سماحةَ الإسلام- يا عباد الله- تتجلَّى في عزَّة هذه الأمة بدينها، بإيمانها وعقيدتها، بتطبيقها لشريعة ربها، فلم تكُن سماحتُه-صلى الله عليه وسلم- ورحمتُه لَتحُولَ بينه وبين إقامَة حدود الله، أو مُناصَرة المظلومين.

ففي "الصحيحين": لما سرَقَت المرأةُ المخزومية، قطَعَ النبيُّ-صلى الله عليه وسلم- يدَها وقال: «وايْمُ اللهِ؛ لو أنَّ فاطمَةَ بنتَ مُحمدٍ سَرَقَت لَقطعْتُ يَدَها».

وفي "صحيح مسلم"، عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: ما رأيتُ رسولَ اللهِ-صلى الله عليه وسلم- وَجِدَ على سرية ما وَجَدَ على السبعين الذين أصيبُوا يومَ بئرِ معُونَة، كانوا يُدعَونَ القرَّاء، فمكَثَ شهرًا يدعُو على قتَلَتهم.

ولما نقَضَت قُريشٌ عهدَها مع النبي-صلى الله عليه وسلم-، فقتَلَت عشرين رجلاً من خُزاعة، غضبَ النبيُّ-صلى الله عليه وسلم- وانتَصَر للمظلومين، فكان فتحُ مكة المُبين، ووقفَ-صلى الله عليه وسلم- ها هنا على باب الكعبة، وقُريشٌ قد اجتمَعُوا في المسجد الحرام، فقال: «يا معشرَ قريش! ما ترَونَ أنِّي فاعلٌ فيكم؟»، قالوا: خيرًا، أخٌ كريمٌ، وابنُ أخٍ كريم، قال: «اذهَبُوا فأنتم الطُّلَقاءُ».

ألا ما أجمَلَ العفوَ عند المقدرة، والتواضُعَ عند النصر، والسماحةَ مع المُسيئين، وكلُّ ذلك تمثَّلَ في رسول الله-صلى الله عليه وسلم-.

فلا إله إلا الله، ما أعظمَ هذا الدين! دينُ الخير والرحمة، والتسامُح والمحبة، والتآلُف وجمع الكلمة، والاعتصام بالكتاب والسنة.

اللهم فرِّج همَّ المهمومين من المُسلمين، ونفِّس كربَ المكرُوبين، واقضِ الدَّيْنَ عن المَدينين، واشفِ مرضَانا ومرضَى المُسلمين، اللهم أصلِح أحوالَ المسلمين في كلِّ مكان، برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللقطة واللقيط.. أحكام وآداب

الحلقة الأولى

الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مُضلَّ له، ومن يضلل؛ فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن حفظ المال مقصد كلي من المقاصد التي جاءت كل الشرائع بحفظها، وأولته الشريعة الإسلامية أهمية خاصة؛ لأنه عماد المعاش، وعليه قوام المصالح الخاصة والعامة.

إعداد/ محمد عبد العزيز السيد

وقد يتعرض هذا المال للضياع لسبب من الأسباب فيجده بعض المكلفين عن غير طلب له- وهو ما يعرف باللقطة-.

وهذه اللقطة لها أحكامها الخاصة في الإسلام، وهو ما نتناوله في هذا المقال في نقاط:

- تعريف اللقطة لغة، واصطلاحًا.
- أنواع اللقطة.
- الحكم التكليفي المتعلق بالالتقاط.
- حكم تعريف اللقطة (أي الإعلام عنها).
- حكم اللقطة أثناء فترة التعريف.
- هل تملك اللقطة بعد فترة التعريف؟

تعريف اللقطة لغة واصطلاحًا:

اللقطة: بضم اللام، وفتح القاف كـ: هُمَزَة، وبإسكانها كـ: حُمْرَة ما يلتقط، وهو الشيء الذي تجده مُلقىً فتأخذه، أي: المال الواقع على الأرض مثلاً.

وقد جعل بعض أهل العلم اللُقَطة بضم اللام، وفتح القاف: صيغة مبالغة من اللاقط، واللُقْطة بضم اللام، وسكون القاف: للشيء الملقوط.

قال البعلي في المطلع على أبواب المقنع (ص٣٤١-٣٤٢): «اللقطة: اسم لما يلقط، وفيها أربع لغات، نظمها شيخنا أبو عبد الله بن مالك قال:

لُقاطةٌ ولُقْطةٌ ولُقَطَهْ

وَلَقَطٌ ما لاقِطٌ قدْ لَقَطَهْ

فالثلاث الأول بضم اللام، والرابعة بفتح اللام والقاف، وروي عن الخليل.

واللقطة "بضم اللام وفتح القاف": الكثير الالتقاط. وبسكون القاف: ما يلتقط.

وقال أبو منصور: وهو قياس اللغة؛ لأن فُعَلة "بفتح العين" أكثر ما جاء فاعل.

وبسكونها مفعول، كَضُحَكَة: للكثير الضحك، وضُحْكة: لمن يُضْحَك منه».

واللُقْطة اصطلاحًا: اسم للمال أو المختص المحترم المعصوم الذي يوجد في غير حرز، في مكان غير مملوك، فيلتقط.

فقولنا: المال: يشمل النقدين، وما في معناهما من العملات التي يتعامل بها الناس، والأعيان كالأطعمة والأشربة والألبسة، ونحوها مما تقع عليه العقود.

وقولنا: المختص ما لا تقع عليه عقود المبايعات عند الجمهور، وإن كان محترمًا في نفسه ككلب الحراسة، والصيد.

وقولنا: المحترم: يخرج المال غير المحترم في الشرع كالخمر.

والمراد بالمال المحترم هنا: ما تتبعه همة أوساط الناس، فما لا تتبعه همتهم، ولم يعرف صاحبه. يُملك بوجدانه كرغيف، وعصا، وعملة، وقلم زهيد لحديث أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: مر النبي- صلى الله عليه وسلم- بتمرة في الطريق فقال: «لولا أني أخشى أن تكون من تمر الصدقة لأكلتها» رواه البخاري (٢٤٣١)، ومسلم (١٦٤).

وقولنا: المعصوم: يخرج المال غير المعصوم كمال الحربي.

وقولنا: من غير حرز يخرج المال المحرز فليس هو بلقطة، والمال المحرز المتنع المحصن بما يمنعه من الضياع، كالسيارة المغلقة في الطريق.

وقولنا: في مكان غير مملوك، يخرج المملوك فما وجد في بيت مثلاً فالأصل أنه لصاحبه.

والالتقاط: أن يعثر على الشيء من غير قصد وطلب، فإن كان عن طلب فليس بلقطة، قال تعالى: «فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ»، فهذا وجدان عن غير طلب.

أنواع اللُّقطة:

لِلُّقْطة نوعان يختلف حكمها باختلافهما:

النوع الأول: ما ليس بحيوان وهو أنواع:

١- المال التافه الذي لا يؤبه به، وقد سبق حكمه.

٢- المال المحترم الذي تتبعه همة أوساط الناس في غير مكة، وهو لا يفسد ببقائه، فهذا يلتقط، ويعرف حولاً كاملاً، وهو في يد الملتقط أمانة خلال الحول، لا يجوز له استعمالها إلا بما يصلحها، ولا تضمن إلا بالتفريط، فإن استعمالها إثم، وكانت يده ضامنة فرط أو لم يفرط.

وبعد الحول يمتلكها الملتقط على شرط عدم ظهور صاحبها، فإن جاء صاحبها وجب ردها، ويده في هذه الحالة ضامنة، فيجب عليه ردها سواء استنفقها أو استعملها، أو تلفت بتفريط، أو غير تفريط.

لحديث زيد بن خالد الجهني- رضي الله عنه- قال: جاء رجل إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فسأله عن اللقطة، فقال: «اعرف عفاصها ووكاءها، ثم عرفها سنة، فإن جاء صاحبها وإلا فشأنك بها». رواه البخاري (٢٣٧٢)، ومسلم (١٧٢٢).

وقوله: عفاصها: أي: وعاءها، كالمحفظة، أو الحقيبة، أو نحوها مما يحفظ فيه المال. وقوله: وكاءها- بكسر الواو، والمد-: الخيط الذي يشد به الوعاء.

٣- المال المحترم الذي تتبعه همة أوساط الناس في غير مكة، وهو يفسد ببقائه كالطعام مثلاً، فهذا يخير فيه بين أمرين:

- أن يأكله بثمنه، مضمونًا لصاحبه حولاً كاملاً- إذا ظهر بعد التعريف-.

- أن يبيعه، ويبقى ثمنه في يده أمانة لصاحبه حولاً كاملاً- وإذا ظهر بعد التعريف-.

النوع الثاني: الحيوان، وهو ينقسم إلى قسمين:

١- ما يمتنع بنفسه من الحيوان كالإبل، فهذا لا يلتقط.

٢- ما لا يمتنع بنفسه من صغار الحيوان كالدجاج والبط والغنم ونحوها فهذه تلتقط وتعرف.

ودليل هذا القسم حديث زيد بن خالد السابق ففيه: «قال: فضالة الغنم؟ قال: هي لك، أو لأخيك، أو للذئب. قال: فضالة الإبل؟ قال: ما لك، ولها؟! معها سقاؤها وحذاؤها، ترد الماء، وتأكل الشجر، حتى يلقاها ربها».

النوع الثالث: لقطة مكة، فهذه لا تلتقط إلا لمعرف، وتعرف أبدًا في مكانها، فإن لم يكن الملتقط قادرًا على ذلك فلا يلتقطها، أو يلتقطها ويسلمها لأمانات الحرم.

لحديث أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: لما فتح الله على رسوله- صلى الله عليه وسلم- مكة قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «.. ولا تحل ساقطتها إلا لمنشد..» رواه البخاري (٢٤٣٤).

وقوله: ساقطتها: أي لقطتها.

والمراد بقوله: إلا لمنشد: أي: على الدوام، وإلا فأي فائدة لتخصيص مكة بالإنشاد؟

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

أوصيك ونفسي

فقرات من وصايا فضيلة الشيخ

محمد حامد الفقي (رحمه الله)

مؤسس جماعة أنصار السنة المحمدية

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على إمام المهتدين وعلى آله، وبعد:

فإن كنت تريد فلاح الدنيا والآخرة فأوصيك ونفسي:

١- اعرف ربك بنعمه التي يربيك بها وحده، وبالتفكير في آياته في نفسك وفي الآفاق التي تجري على سنن الحق والحكمة، وبأسمائه وصفاته التي تعرَّف بها إليك في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، فإنك إن عرفت ربك عرفت حقه عليك، وعرفت أنه لا ينبغي الإلهية والعبادة إلا له وحده، فإنه الغني، والكل فقير، وإنه القوي، والكل عاجز، وإنه الحي القيوم، والكل موتى.

٢- اعرف أن العبادة هي ذل القلب وخضوعه وحبه وتعظيمه وانقياده لله، وأن القلب هو الملك على الجوارح، فإذا دان بهذه العبودية لله، فقد صلح، وفي صلاح القلب صلاح الجوارح.

٣- أخلص العبادة لربك وحده، فإنه الذي يربيك ويربي جميع العاملين بنعمه، فإياه فاعبد، وبه فاستعن، ولا تخف إلا إياه، ولا ترجو ولا ترغب إلا إليه، «أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» (الأعراف:٥٤)، «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» (الفاتحة:٥).

٤- احذر أن تشرك بربك أحدًا أو شيئًا في صفة من صفاته، أو في حق من حقوق عبادته، فهو السميع الذي يحيط سمعه بكل شيء، وهو البصير الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو القوي العزيز الذي لا يعجزه شيء، ذو البطش الشديد الغفور الودود الفعال لما يريد، القاهر فوق عباده الحكيم الخبير، وهو الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما بالحق، فإياك أن تنادي ميتًا وتدعوه لكشف ضر، أو قضاء حاجة، فإنك بذلك تعطيه من صفة سمع الله ورحمته وقدرته وحياته وقيوميته، وإنك بذلك تعطيه ما هو حق لله وحده من العبادة فتكون من أظلم الظالمين لنفسك، فـ«إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» (لقمان:١٣).

وفي الحديث: «أظلم الظلم أن تجعل لله ندًا وهو خلقك».

٥- احذر أن تعبد الله إلا بما أحب وشرع في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، فإن العبادة هي حق الله، وهي السبيل إلى مرضاة الله، ولا طريق إلى معرفتها إلا من قبل الله صاحب الحق فيها، وهو الذي يهديك بها للوصول إليه، فإن أي حق للغير في عنقك لا تبرأ ذمتك منه إلا بأدائه على الوجه الذي سجل في مستنده بهيئته وصفته، وقدره وميعاده، وليس لحق الله مستند صحيح معتمد عنده وعند كل مؤمن به: إلا كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

٦- احذر ما يخدعك به الشيطان من مستندات

مزورة على الله يزخرفها لك باسم البدع الحسنة، ويسوقها لك على لسان فلان وفلان، والقول على الله بلا علم وافتراء الكذب عليه، ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (الصف:٧)، وفي الحديث: «وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كان محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»، وفيه: «تركتكم على الحنيفية البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك».

٧- زكِّ نفسك من قذارة الجهل والهوى والشهوات، وطهِّر قلبك من حظ الشيطان ونزغاته، بتلاوة القرآن حق تلاوته، متدبرًا لآياته فاهمًا لمعانيه ومقاصده، مهتديًا بهداه، فإن الله يقول فيه: ﴿ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة:٢)، ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل:٨٩)، ﴿ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (المائدة:١٥، ١٦)، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس:٥٧)، ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (الإسراء:٨٢)، ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾ (طه:١٢٣، ١٢٤)، ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (ص:٢٩).

٨- احذر التقليد الأعمى في أي عمل من أعمالك الدينية أو الدنيوية، فإن التقليد الأعمى هو الذي جعل العبادات صورًا آلية ميتة، لا تهذب النفوس، ولا تزكي القلوب، ولا تحيي ميت الأرواح، فأغلقت دونها أبواب قبول الرب سبحانه.

فكانت «لا إله إلا الله محمد رسول الله» حروفًا وألفاظًا تلاك باللسان، بلا تعقل ولا فهم ولا معرفة لمقتضاها، فهدمتها العقائد الشركية والأعمال الجاهلية، والتحاكم إلى الطاغوت، والإعراض التام عن كتاب الله وهدي رسوله والتأسي به؛ باتخاذ مئات الشيوخ والمتبوعين والمقلدين، حتى أصبحوا على شرائع شتى وملل مختلفة، وعادوا مختلفين في الدين مخالفين للدين، فرقوا دينهم وكانوا شيعًا وأحزابًا ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ (المؤمنون:٥٣).

وكانت الصلاة حركات تقليدية باللسان والجوارح، لا تمس القلب ولا الأعمال ولا الأخلاق، فلم تغسل القلب ولم تزك النفس، ولم تأمر بمعروف ولم تنهَ عن فاحشة ولا منكر، ولم تدع إلى بر ولا إحسان ولا صلة ما أمر الله به أن يوصل.

وكان الصيام جوعًا وظمأ وتعذيبًا للصائم وشقاء في المبدأ والغاية، فلم يتعلم الصائم صبرًا، ولم يستفد قوة عزيمة ولا سعة صدر ولا جميل حلم، بما هو عدة النجاح في الحياة يتقي بها ويدفع عن نفسه كل ما كره، وهو الذي دعاه الله إليه بالصيام في قوله: «لعلكم تتقون» أي: تكسبون بالمران في الصيام كل أسباب القوة على اتقاء ما تخافون في الدنيا والآخرة، لكن الصيام التقليدي لا يكسب شيئًا من ذلك، فلم ينه عن قول الزور والعمل به، بل دعا أكثر الصائمين إلى شغل أوقات الصيام باللهو والخمول والكسل والتعطل، والفسوق والعصيان باسم تسلية رمضان.

وكانت الصدقات مغرمًا، لا يبذل قرشًا إلا رياء وسمعة، أو تقربًا وزلفى لمخلوق يرجوه ويخافه.

وكان ذكر الله سخرية ولعبًا ورقصًا وزمرًا، وكان القضاء والحكم ظلمًا وعبثًا، وكانت الزوجة شقاء ونكدًا، والأخوة عداوة وبغيًا وحسدًا، كل ذلك وغيره نتيجة التقليد الأعمى في الدين.

أما التقليد الأعمى في بقية الأعمال، فمحا شخصيتك وأفناها في غيرك، حتى كنت في كل ما تتناول من شئونك طفلًا أخرق، لا تزال تشعر بحاجتك إلى من يسندك ويأخذ بيدك ويرفعك، ثم يسوقك ويدفعك، فتضيع عليك بذلك أكثر فرص الحياة إن لم تضع عليك كلها، فتعيش دائمًا كئيبًا حزينًا.

ومن النتائج الوخيمة لهذا التقليد الأعمى: أنك أخذت فسوق أوربا الكافرة مؤمنًا بها، حتى غشتك في بيتك ومسجدك وعملك وخلقك، وأخيرًا تغلبت على دينك، فمحت وجودك الشرقي العربي الإسلامي، وأصبحت بها رجلًا في ريبك، طفلًا في تفكيرك وعقلك وعملك، تعتقد أنك بأشد الحاجة إلى من يحضنك ويكفلك، فتلقتك يد العدو، زاعمة لك- لطفولتك وسفاهتك- أنها كفيلة بتربيتك وتعليمك وتهيئتك للحياة، فطوقت عنقك بمخالبها وأنيابها، واعتصرت خيرك لنفسك، واستنفدت قواك وعناصر حياتك كلها، حتى أصبحت لا تستطيع أن تجابه شئون الحياة في شجاعة ولا قوة الإنسان المسلم الذي يمشي سويًا على صراط مستقيم.

المصدر: مجلة التوحيد: العدد رقم ٦، جمادى الآخرة ١٣٩٧هـ.

باب
الفقه

أحكام الصلاة

سجود السهو

الحلقة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: ما يزال الحديث متصلاً عن سجود السهو، وتكلمنا عن تعريف سجود السهو، ثم مشروعيته، ثم حكمه، ثم أسبابه، وذكرنا الأحاديث الصحيحة التي عليها مدار باب سجود السهو، وكيفية فقهها، وفي هذه الحلقة نكمل الحديث عن أهم المسائل المتعلقة بسجود السهو، فنقول وبالله التوفيق:

١- تنبيه الإمام على السهو:

اختلف العلماء في ذلك؛ فذهب أبو حنيفة ومالك وأصحابه إلى أن من سها يسبح له، والتسبيح للرجال والنساء جميعًا؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: "من نابه شيء في صلاته فليسبح"، ولم يخص رجالاً من نساء، وتأولوا قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إنما التصفيق للنساء" أي: إنما التصفيق من فعل النساء، قال ذلك على جهة الذم، ثم قال: "من نابه شيء في صلاته فليسبح"، وهذا على العموم للرجال والنساء، هذه حجة من ذهب هذا المذهب. (التمهيد لابن عبد البر ١٠٦/٢١).

وقال الشافعي وأحمد: التسبيح للرجال والتصفيق للنساء؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «التسبيح للرجال، والتصفيق للنساء» رواه الجماعة عن أبي هريرة، ففرق بين حكم الرجال والنساء، ووجهه أن دلالة العموم لفظية وضعية ودلالة المفهوم من لوازم اللفظ عند الأكثرين، وقد قال في الحديث: "التسبيح للرجال والتصفيق للنساء"، فكأنه قال: لا تسبيح إلا للرجال ولا تصفيق إلا للنساء، وكأنه قدم المفهوم على العموم للعمل بالدليلين؛ لأن في إعمال العموم إبطالاً للمفهوم. وهذا القول الثاني هو الصحيح نظرًا وخبرًا. (انظر فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٧٦/٣، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي ١٢٠/٢).

إعداد/ د. حمدي طه

٢- تكرار السهو في نفس الصلاة:

إِذَا تَكَرَّرَ السَّهْوُ لِلْمُصَلِّي فِي الصَّلَاةِ، لَا يَلْزَمُهُ إِلاَّ سَجْدَتَانِ؛ لأَنَّ تَكْرَارَهُ غَيْرُ مَشْرُوعٍ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم سلَّم من اثنتين، وكلَّم ذا اليدين، واقتصر على سجدتين، ولقوله صلى الله عليه وسلم: «إذا نسي أحدكم فليسجد سجدتين»، وهذا يتناول السهو في موضعين؛ لأنه لم ينقل عن النبي- صلى الله عليه وسلم- ولا عن أحد من أصحابه- رضي الله عنهم- أنهم كرروا السجود بتكرار السهو، مع أن تكرار السهو ممكنٌ من كل مصلٍ، وَهَذَا مَذْهَبُ جُمْهُورِ الْفُقَهَاءِ. (رسالة مختصرة في سجود السهو محمود محفوظ. الفقه الإسلامي وأدلته د. وهبة الزحَيْلي ٢٨٠/٢).

٣- نسيان سجود السهو:

إِذَا سَهَا الْمُصَلِّي عَنْ سُجُودِ السَّهْوِ فَانْصَرَفَ مِنَ الصَّلَاةِ دُونَ سُجُودٍ فَإِنَّهُ يَعُودُ إِلَيْهِ وَيُؤَدِّيهِ إن قَرُبَ زمنُه، فإنْ بَعُدَ زمنُه سقط، وصلاته صحيحة.

مثاله: رَجُلٌ نسيَ التشهُّد الأول؛ فيجب عليه سجود السَّهو، ومحله قبل السَّلام، لكن نسيَ وسَلَّمَ، فإن ذَكَرَ في زمن قريب سَجَدَ، وإنْ طال الفصل سَقَطَ.

مثل: لو لم يتذكر إلا بعد مدَّة طويلة؛ فإن خرج من المسجد فإنه لا يرجع إلى المسجد فيسقط عنه، بخلاف ما إذا سَلَّمَ قبل إتمام الصَّلاة؛ فإنه يرجع ويكمل، وذلك لأنه في المسألة الثانية تَرَكَ رُكناً فلا بُدَّ أن يأتيَ به، وهذا تَرَكَ واجباً يسقط بالسَّهو. (الشرح الممتع على زاد المستقنع ٣٩٧/٣).

٤- استجابة الإمام لتنبيه المأمومين ومتابعتهم:

يَرَى جُمْهُورُ الْفُقَهَاءِ مِنَ الْحَنَفِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ أَنَّ الإِمَامَ إِذَا زَادَ فِي صَلَاتِهِ وَكَانَ الإِمَامُ

عَلَى يَقِينٍ أَوْ غَلَبَ عَلَى ظَنِّه أَنَّهُ مُصِيبٌ، حَيْثُ إِنَّهُ يَرَى أَنَّهُ فِي الرَّابِعَةِ، وَالْمَأْمُومُونَ يَرَوْنَ أَنَّهُ فِي الْخَامِسَةِ لَمْ يَسْتَجِبْ لَهُمْ.

وَذَهَبَ الْمَالِكِيَّةُ إِلَى أَنَّهُ إِذَا كَثُرَ عَدَدُهُمْ بِحَيْثُ يُفِيدُ عَدَدُهُمُ الْعِلْمَ الضَّرُورِيَّ فَيَتْرُكُ يَقِينَهُ وَيَرْجِعُ لَهُمْ فِيمَا أَخْبَرُوهُ بِه مِنْ نَقْصٍ أَوْ كَمَالٍ، وَإِلاَّ لَمْ يَعُدْ.

هَذَا إِذَا كَانَ الإِمَامُ عَلَى يَقِينٍ مِنْ نَفْسِه، أَمَّا إِذَا شَكَّ وَلَمْ يَغْلِبْ ظَنُّهُ عَلَى أَمْرٍ عَادَ لِقَوْلِ الْمَأْمُومِينَ إِذَا كَانُوا ثِقَاتٍ أَوْ كَثُرَ عَدَدُهُمْ؛ لِحَدِيثِ ذِي الْيَدَيْنِ عِنْدَمَا أَخْبَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، فَسَأَلَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ النَّاسَ فَأَجَابُوهُ.

وَهَذَا قَوْلُ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ إِلاَّ الشَّافِعِيَّةَ، فَإِنَّهُمْ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ الإِمَامَ إِذَا شَكَّ أَصَلَّى ثَلاَثًا أَمْ أَرْبَعًا أَتَى بِرَكْعَةٍ، لأَنَّ الأَصْلَ عَدَمُ إِتْيَانِه بِهَا وَلاَ يَرْجِعُ لِظَنِّه وَلاَ لِقَوْلِ غَيْرِه أَوْ فِعْلِه وَإِنْ كَانَ جَمْعًا كَثِيرًا، إِلاَّ أَنْ يَبْلُغُوا حَدَّ التَّوَاتُرِ بِقَرِينَةٍ. وَحَدِيثُ ذِي الْيَدَيْنِ مَحْمُولٌ عَلَى تَذَكُّرِه بَعْدَ مُرَاجَعَتِه، أَوْ أَنَّهُمْ بَلَغُوا حَدَّ التَّوَاتُرِ. (الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٤٢/٢٤).

٥- متابعة المأموم الإمام في سجود السهو:

إِذَا سَهَا الإِمَامُ فِي صَلاَتِه ثُمَّ سَجَدَ لِلسَّهْوِ فَعَلَى الْمَأْمُومِ مُتَابَعَتُهُ فِي السُّجُودِ سَوَاءٌ سَهَا مَعَهُ أَوِ انْفَرَدَ الإِمَامُ بِالسَّهْوِ. قَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ: أَجْمَعَ كُلُّ مَنْ نَحْفَظُ عَنْهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى ذَلِكَ سَوَاءٌ كَانَ قَبْلَ السَّلاَمِ أَوْ بَعْدَ السَّلاَمِ. لِقَوْلِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِه.. وَإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا» متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وَلأَنَّ الْمَأْمُومَ تَابِعٌ لِلإِمَامِ وَحُكْمُهُ حُكْمُهُ إِذَا سَهَا، إلا أن يكون مسبوقاً أي: قد فاته بعض الصلاة فإنه لا يتابعه في السجود بعده لتعذر ذلك، فيقضي ما فاته ويسلم ثم يسجد للسهو ويسلم.

مثال ذلك: رجل دخل مع الإمام في الركعة الأخيرة، وكان على الإمام سجود سهو بعد السلام، فإذا سلم الإمام فليقم هذا المسبوق لقضاء ما فاته ولا يسجد مع الإمام فإذا أتم ما فاته وسلم سجد بعد السلام وإذا سها المأموم دون الإمام لم يفته شيء من الصلاة فلا سجود عليه لأَنَّ الْمَأْمُومَ تَابِعٌ لإِمَامِه، فَلَزِمَهُ مُتَابَعَتُهُ فِي السُّجُودِ وَتَرْكُهُ. ولأَنَّ الإمام يتحمل عن الْمَأْمُومِ فِي الصلاة، ولأن سجوده يؤدي إلى الاختلاف على الإمام واختلاف متابعته، وأن الصحابة رضي الله عنهم تركوا التشهد الأول حين نسيه النبي صلى الله عليه وسلم فقاموا معه ولم يجلسوا للتشهد مراعاة للمتابعة وعدم الاختلاف عليه. قَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ: "أَجْمَعُوا عَلَى أَنْ لَيْسَ عَلَى مَنْ سَهَا خَلْفَ الإِمَامِ سُجُودٌ". (انظر رسالة في سجود السهو للعثيمين ص٦، والموسوعة الفقهية الكويتية٢٤٢/٢٤).

٦- سهو الإمام أو المنفرد عن التشهد الأول:

إِذَا سَهَا الإِمَامُ فِي صَلاَتِه عَنِ التَّشَهُّدِ الأَوَّلِ، فَسَبَّحَ لَهُ الْمَأْمُومُونَ أَوْ تَذَكَّرَ فَلاَ يخلو من أربعة أحوال:

الحال الأولى: أن يكون ذلك بعد أن ينهض، أي: بعد أن تفارق فخذاه ساقيه، وقبل أن يستتمَّ قائماً، ففي هذه الحال يجلس ويتشهَّد، ويتم صلاته، ويسجد للسَّهو.

الحال الثانية: أن يكون ذلك بعد أن يستتمَّ قائماً، لكن قبل أن يشرع في القراءة، فهنا لا يرجع؛ لأنه انفصل عن التشهُّد تماماً، حيث وَصَلَ إلى الرُّكن الذي يليه.

الحال الثالثة: أن يكون ذلك بعد الشُّروع في قراءة الرَّكعة التي تليها: فيحرم الرُّجوع.

الحال الرابعة: إذا ذَكَرَ قبل أن ينهض، أي: تأهَّب للقيام، ولكن قبل أن ينهض وتفارق فخذاه ساقيه، ذَكَرَ أنه لم يتشهَّد فإنه يستقرُّ ولا يجب عليه السُّجود في هذه الحال؛ لعدم الزيادة وعدم النقص، أما عدم النقص فلأنه أتى بالتَّشهُّد وأما عدم الزيادة فلأنه لم يأتِ بفعل زائد.

والأصل في ذلك حَدِيثُ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ- رَضِيَ اللَّه عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: "إِذَا قَامَ الإِمَامُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ، فَإِنْ ذَكَرَ قَبْلَ أَنْ يَسْتَوِيَ قَائِمًا فَلْيَجْلِسْ، فَإِنِ اسْتَوَى قَائِمًا فَلاَ يَجْلِسْ، وَيَسْجُدُ سَجْدَتَيِ السَّهْوِ".

وَعَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ بُحَيْنَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ صَلَّى فَقَامَ فِي الرَّكْعَتَيْنِ فَسَبَّحُوا، فَمَضَى، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلاَتِه سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ. وَهَذَا قَوْلُ جُمْهُورِ الْفُقَهَاءِ مِنَ الْحَنَفِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ. (انظر الشرح الممتع على زاد المستقنع ٣٩٧/٣).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

باب التربية

التربية على الصدق

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فمن المعلوم من الدين أن القرآن الكريم منه المكي والمدني، والمكي ما نزل قبل الهجرة ولو خارج مكة، والمدني ما نزل بعد الهجرة ولو خارج المدينة، ومن سمات القرآن المكي الاهتمام بالعقيدة ومكارم الأخلاق، وهذا هو ما ربَّى النبيُّ صلى الله عليه وسلم عليه من آمن به من السابقين الأولين، كما صرَّح به جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه للنجاشي ملك الحبشة، كما في الحديث عن أم سلمة رضي الله عنها في قصة هجرتهم إلى الحبشة وإكرام النجاشي نُزلهم، وبعث قريش إليه ليردهم، فأبى- رحمه الله- حتى يسمع منهم. قالت فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فقال له: أيها الملك! كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة. (مسند أحمد ١٧٤٠ وصححه الألباني).

وإنما اهتم النبي صلى الله عليه وسلم بالصدق لأنه أصل الإيمان، فالإيمان لغة: التصديق، ومنه قول إخوة يوسف لأبيهم: « وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ » (يوسف: ١٧)، فالمؤمن صادق مصدق، كما قال تعالى: « وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ » (الزمر: ٣٣)، وقال تعالى: « وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ » (الحديد: ١٩).

فالصدق من صفات المؤمنين، والكذب من صفات الكافرين والمنافقين، كما قال تعالى: « إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ » (النحل: ١٠٥)، وقال تعالى عن المنافقين: « فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ » (البقرة: ١٠).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا اؤتمن خان، وإذا وعد أخلف» (متفق عليه)

وقد رغب الله تعالى في الصدق، وأخبر سبحانه أنه في يوم القيامة لا ينفع العبد وينجيه من عذابه إلا صدقه، فقال تعالى: « هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » (المائدة: ١١٩)، وجعل سبحانه

صُحْبَةَ الصِّدِّيقِينَ جَزَاءَ مَنْ أَطَاعَهُ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ تَعَالَى: « وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا » (النساء: ٦٩).

وَحَذَّرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنَ الْكَذِبِ وَأَخْبَرَ أَنَّهُ يُسَوِّدُ الْوَجْهَ فِي الآخِرَةِ كَمَا يُسَوِّدُهُ فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ تَعَالَى: « وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ » (الزمر: ٦٠).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: « عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا ». (متفق عليه بنحوه).

وَالصِّدِّيقِيَّةُ دَرَجَةٌ دُونَ النُّبُوَّةِ وَفَوْقَ الشَّهَادَةِ، فَجَعَلَ الصِّدْقَ مِفْتَاحَ الصِّدِّيقِيَّةِ وَمَبْدَأَهَا، وَهِيَ غَايَتُهُ، فَلاَ يَنَالُ دَرَجَتَهَا كَاذِبٌ أَلْبَتَّةَ، لاَ فِي قَوْلِهِ وَلاَ فِي عَمَلِهِ وَلاَ فِي حَالِهِ.

وَلَقَدْ بَلَغَ مِنِ اهْتِمَامِ الإِسْلاَمِ بِالصِّدْقِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ أَنْ أَمَرَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُنَشِّئُوا صِبْيَانَهُمْ مِنَ الصِّغَرِ عَلَى الصِّدْقِ، فَإِذَا وَعَدَ الأَبُ وَلَدَهُ وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَفِيَ بِوَعْدِهِ، وَإِنْ أَخْبَرَهُ خَبَرًا وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَصْدُقَهُ، حَتَّى يَنْشَأَ الصِّغَارُ مِنْ صِغَرِهِمْ عَلَى الصِّدْقِ:

فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ: دَعَتْنِي أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا، فَقَالَتْ: هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: « وَمَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيهِ؟ » قَالَتْ: أُعْطِيهِ تَمْرًا. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: « أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تُعْطِهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكِ كِذْبَةٌ » (أخرجه أبو داود ٤١٧٦، وحسنه الألباني).

كَمَا بَلَغَ مِنِ اهْتِمَامِ الإِسْلاَمِ بِالصِّدْقِ أَنَّهُ لَمْ يُبِحِ الْكَذِبَ حَتَّى فِي الْمِزَاحِ: عَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: « وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ، وَيْلٌ لَهُ » (أخرجه أبو داود ٤١٧٥، وحسنه الألباني).

كَمَا بَلَغَ مِنِ اهْتِمَامِ الإِسْلاَمِ بِالصِّدْقِ أَنْ حَثَّ أَتْبَاعَهُ عَلَى الصِّدْقِ فِي كُلِّ مُعَامَلاَتِهِمْ، وَفِي بَيْعِهِمْ وَشِرَائِهِمْ:

عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا » (متفق عليه). فَعَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتَحَرَّوُا الصِّدْقَ، وَأَنْ يُنَشِّئُوا صِبْيَانَهُمْ عَلَيْهِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ مَنْجَاةٌ، وَأَنْ يَجْتَنِبُوا الْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ مَهْلَكَةٌ.

نسأل الله أن يجعلنا من الصادقين.

تهنئة

تتقدم أسرة تحرير مجلة التوحيد بخالص التهنئة للشيخ محمد عبد العزيز السيد، عضو اللجنة العلمية بمجلة التوحيد، وذلك بمناسبة حصوله على درجة الماجستير في رسالة بعنوان: «المعالم في أصول الفقه تحقيقًا، على خمس نسخ خطية، دراسة وتعليقًا».

وتكونت لجنة الإشراف والمناقشة من كلٍّ من:

- أ.د/أحمد منصور سبالك أستاذ الشريعة الأسلامية مشرفاً.
- أ.د/محمد مصطفى رمضان، أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية أصول الدين جامعة الأزهر.
- أ.د/خالد محمد عبيدات، أستاذ أصول الفقه المساعد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وقد حصل الباحث على درجة الماجستير بتقدير: «ممتاز».

هذا، ونتمنى له مزيداً من التوفيق والسداد.

من نور كتاب الله
من صفات أهل الجنة

قال تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾. (البلد: ١١-١٨).

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلَّم قال: «لا يتصدَّق أحد بتمرة من كسب طيِّب، إلاَّ أخذها الله بيمينه، فيربِّيها كما يربِّي أحدكم فلوّه أو قلوصه (هي الناقة الفتية) حتى تكون مثل الجبل أو أعظم». (صحيح مسلم).

من أقوال آل البيت عن الصحابة

عن عبد الجبار بن العباس الهمداني أن جعفر الصادق قال: «من زعم أني إمام معصوم مفترض الطاعة، فأنا منه بريء، ومن زعم أني أبرأ من أبي بكر وعمر، فأنا منه بريء». (سير أعلام النبلاء).

من دلائل النبوة
الملائكة تقاتل مع النبي صلى الله عليه وسلم

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان كأشد القتال ما رأيتهما قبلُ ولا بعدُ، يعني جبريل وميكائيل. (متفق عليه).

من دعائه صلى الله عليه وسلم

عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»، فقلت: يا رسول الله! آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ قال: نعم، إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء». (أخرجه الترمذي وصححه الألباني)

من أقوال السلف

عن ابن علية قال: كان ابن عون يقول لنا: «رحم الله رجلاً لزم هذا الأثر، ورضي به وإن استثقله واستبطأه» (الإبانة لابن بطة).

إعداد/ علاء خضر

موقف العلماء من الاحتفال بالمولد النبوي

ذكر العلامة محمد حامد الفقي، (مؤسس جماعة أنصار السنة) بدع الاحتفال بمولد النبي ورفع القباب والقبور، ثم قال: «وهذه البدع كلها أول من ابتدعها الدولة اليهودية الباطنية المجرمة الخبيثة الفاسدة المفسدة دولة العبيديين المتسماة كذبًا وزورًا وخداعًا وتغريرًا باسم «الفاطميين» وهي بريئة منهم». (مجلة الهدي النبوي).

حكم ومواعظ

قال ابن عباس: لا يتمّ المعروف إلا بثلاث: تعجيله، وتصغيره، وستره، فإنه إذا عجّله هنّاه (أي: أراحه وأسعده)، وإذا صغّره عظّمه (أي: رفع من شأنه)، وإذا ستره تمّمه. (عيون الأخبار)

من علامة محبة النبي صلى الله عليه وسلم

« قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ»

(آل عمران: ٣١)

حكم الاحتكار وقت الضيق والشدة

قال الحافظ ابن حجر: الاحتكار المحرّم: «هو أن يمسك ما اشتراه لوقت في الغلاء لا الرّخص من القوت ونحوه مثل التّمر والزّبيب بقصد أن يبيعه بأغلى ممّا اشتراه به عند اشتداد الحاجة إليه». (الزواجر عن اقتراف الكبائر).

خُلق سيئ فاحذره

قال ابن مسعود - رضي الله عنه - لرجل: «البخل أن تمنع ما تقدر عليه. والشّح: أن تأخذ مال أخيك بغير حقّه» (لسان العرب).

خُلق حسن فالزمه

عن الحسن رحمه الله قال: «لأن أقضي حاجة لمسلم أحبّ إليّ من أن أعتكف سنة». (عيون الأخبار)

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

«كنت نورًا بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق آدم جعل ذلك النور في صلبه فلم يزل ينقله من صلب إلى صلب حتى استقر في صلب عبد المطلب». (مرشد الحائر للغماري)

إعداد/ سيد عباس الجليمي

بدعة التزام الدعاء والذكر الجماعي بعد الصلوات المفروضة

احذر الاشتراك أو الرضا أو الإقرار لبدعة من البدع التي انتشرت في بعض الأعصار والأمصار، ألا وهي التزام الدعاء والذكر الجماعي بعد الصلوات المفروضة.

واعلم أن الأصل في الأذكار والعبادات التوقيف، وألا يُعبد الله إلا بما شرع، وكذلك إطلاقها أو توقيتها وبيان كيفياتها وتحديد عددها فيما شرعه الله من الأذكار والأدعية وسائر العبادات مطلقًا عن التقييد بوقت أو عدد أو مكان أو كيفية، لا يجوز أن نلتزم فيه بكيفية أو وقت أو عدد، لم يشرعه القرآن والسنة، بل نعبد الله تعالى بعبادة الذكر كما ورد في السنة الصحيحة، وكذلك لا يصلح المعنى بل لا بد من التقيد باللفظ.

وما ثبت بالأدلة القولية أو العملية تقييده بوقت أو عدد أو تحديد مكان له أو كيفية، عبدنا الله به على ما ثبت من الشرع له.

ولم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم قولاً أو فعلاً أو تقريرًا: الدعاء الجماعي عقب الصلوات أو قراءة القرآن مباشرة أو عقب كل درس، سواء كان ذلك بدعاء الإمام وتأمين المأمومين على دعائه أم كان بدعائهم كلهم جماعة ولم يعرف ذلك أيضا على عهد الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة رضي الله عنهم، فمن التزم بالدعاء الجماعي عقب الصلوات أو بعد كل قراءة للقرآن أو بعد كل درس فقد ابتدع في الدين وأحدث فيه ما ليس منه ، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » وقال : «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد »...

ولو كان التزام كيفية معينة مشروعًا لحافظ عليه النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه من بعده، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه، والخير كل الخير في اتباع هديه صلى الله عليه وسلم وهدي الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، والشر كل الشر في مخالفة هديهم واتباع المحدثات التي حذر منها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة ».

ولا يعارض هذا بما ثبت في صحيح البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «كنت أعرف انقضاء صلاة النبي صلى الله عليه وسلم بالتكبير»، وفي الصحيحين أيضا رواية لها الحديث- واللفظ للبخاري-: «أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم»، فإن الحديث يبين مشروعية رفع الصوت دون اتفاق أو جماعية، وهذا في الأذكار عقب الصلوات المكتوبة.

احذر هذا الكتاب

تحرير المرأة

ومؤلفه هو قاسم أمين، أول من دعا لسفور المرأة، وتبعته هدى شعراوي بحرق حجاب وجهها في ميدان الإسماعيلية، الذي سمي بعدها بميدان التحرير، وهي في الحقيقة دعوى إلى تحرير الوصول للمرأة؛ لأن هذه الخطوة تبعتها خطوات، فمن كشف الوجه إلى اختلاط بالرجال، إلى كشف بالسوق والأعناق.. إلى.. إلى.

إن دعاة «تحرير الوصول إلى المرأة» انعتقوا من كل الروابط والقيم والمسئوليات الأسرية والحقوق الاجتماعية، والمعشعش في عقول هؤلاء: أن التقدم العلمي والسباق التقني لن يتحقق إلا على أنقاض الفضيلة والإيمان والالتزام بأحكام الإسلام، إنها الهزيمة النفسية والانكسار الداخلي، وحين يُبتلى المرء بذلك؛ فإنه يفقد التميز بين الحق والباطل.

إنهم يحاولون بأيد مرتعشة وفكر معوج التوفيق بين أهوائهم وانهزامهم والتطويع لبعض النصوص الشرعية، والحق أن المسألة دائرة بين أمرين لا ثالث لهما، إما الإسلام كله أو التبعية المنهزمة، إنهم في نظرتهم يريدون امرأة ندًا لرجل ومماثلاً له ومُناوئًا له ومتصارعًا معه، وفي نظر الإسلام هي شقيقة الرجل وشِقَّهُ ومتممة له وهو متممها، هو رجل محتفظ برجولته، وهي امرأة متميزة بأنوثتها.

أما هذا الكتاب ومن على شاكلته من الكتب المتاحة للناس، فهي بلاء تختنق الفضائل في ضجته، وتذوب الأخلاق في أزمته، فماذا نقول لأناس يهشّون لمنكر، ويودون لو نبت الجيل في حمأته؟! وماذا نقول لأناس تفرز سطورهم مقتًا للتليد من أصولهم والمجيد من تراثهم، فصار اتباع الهوى أرجح عندهم من اتباع الشرع.

هذا هو نداء التحرير عندهم، مبادئ علمانية مادية أغرقت الإنسانية بالضياع والرذيلة والعبثية، مما أدى إلى فقد الإنسان المعاصر للقيمة والهدف والغاية.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل



أثر السياق في فهم النص

تنوع قرائن السياق وأثره على الأحكام الفقهية

النص (٤)

إعداد/ متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

في الحلقات السابقة عن النص تكلمنا عن: ١- الأحاديث الواردة في النص ٢- معنى النص لغة ٣- معنى النص عند فقهاء المذاهب الأربعة ٤- فقه الأحاديث.

وبدأنا البحث في ذكر القرائن والترجيح، فذكرنا منها: أولاً: تخصيص النص بالعرف واللغة. ثانيًا: لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة.

ونستأنف البحث بإذن الله تعالى:

ثالثًا القبول والرد للحديث:

إن قبول الحديث ورده يخضع لقواعد علمية يعرفها أهل هذا الفن منذ مئات السنين، ومع ذلك فإن هذه القواعد ليست قواعد حسابية صماء، بل فيها مجال واسع للاجتهاد وإبراز ملَكات العلماء الكبار؛ من حدة ذكاء، وطول نظر، ودربة، إلى غير ذلك، فقد يختلف العلماء الكبار في الحكم على الحديث الواحد قبولاً وردًا، ومثال ذلك الحديث الحسن لغيره وهو في الأصل حديث ضعيف، لكن ناقدًا للحديث قد يقف على وجوه متعددة له، فيطمئن حسب ملكته إلى الارتقاء به إلى الحسن. ويأتي عالم آخر، قد لا يقف على ما وقف عليه السابق، أو يقف عليه، لكنَّ اجتهاده جعله لا يحسِّن الحديث.

وهذا معلوم بين النقاد الكبار للحديث، ولم يعب أحد منهم على أحد في هذا؛ لأن هذه مسألة اجتهادية، وكما هو معلوم فإنه لا إنكار في مسائل الاجتهاد إن كان النص يحتملها وبضوابطه المقررة عند علماء الأصول.

يقول الحافظ ابن حجر معلقًا على كلام ابن الصلاح: (إنه ليس كل ضعف في الحديث يزول بمجيئه من وجوه، بل ذلك يتفاوت)، قال الحافظ: لم يذكر للجابر ضابطًا يُعلم منه ما يصلح أن يكون جابرًا أو لا، والتحرير فيه أن يقال: إنه يرجع إلى الاحتمال في طرفي القبول والرد، فحيث يستوي الاحتمال فيهما فهو الذي يصلح لأن ينجبر، وحيث يقوى جانب الرد فهو الذي لا ينجبر، وأما إذا رجح جانب القبول فليس من هذا بل ذاك في الحسن الذاتي. (انظر النكت على كتاب ابن الصلاح ١/٤٠٨-٤٠٩).

مثال ذلك: أن بعضهم تعقب الشيخ الألباني بأنه تناقض في الحكم على حديثين في النمص هما ١- حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن امرأة سألتها فقالت: يا أم المؤمنين إن في وجهي شعرات أفأنتفهن أتزين بذلك لزوجي؟ فقالت عائشة: أميطي عنك الأذى، وتصنعي لزوجك كما تصنعين للزيارة. (سنن الدارقطني ٤٧٧/٣، وغيره).

وسند هذا الحديث فيه امرأة أبي إسحاق (العالية بنت أيفع) قال عنها الدارقطني: مجهولة لا يحتج بها (سنن الدارقطني ٤٧٧/٣)، وقال ابن حزم: لا يدري أحد من الناس من هي. (المحلى ٢٢٤/١).

وقال عنها ابن عبد البر: مجهولة (التمهيد ٢٠/١٨). وذكرها ابن حبان في الثقات (ترجمة ٤٤٨٦).

٢- حديث العريان بن الهيثم عن قبيصة بن جابر قال: كنا نشارك المرأة في السورة من القرآن نتعلمها، فانطلقت مع عجوز من بني أسد إلى ابن مسعود في بيته، فرأى جبينها يبرق، فقال: أتحلقينه؟ فغضبت، ثم قالت: التي تحلق جبينها امرأتك، قال: فادخلي عليها، فإن كانت تفعله فهي مني بريئة، فانطلقت ثم جاءت فقالت: لا والله ما رأيتها تفعله، فقال ابن مسعود: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلعن المتنمصات والمتفلجات والمتوشمات اللائي يغيرن خلق الله تعالى. (مسند الشاشي ح ٨٣٠، ٨٣١).

فقال معلقًا على تضعيف الألباني للحديث الأول وتحسينه للثاني: إن رواية العريان بن الهيثم لحديث ابن مسعود: رواية عرجاء شلاء من طريق العريان بن الهيثم، ولم يوثقه إلا ابن حبان. ثم قال: والعجيب أن الشيخ الألباني-رحمه الله وطيب ثراه- ضعف أثر عائشة المشهور في الحف (وهو حديث امرأة أبي إسحاق السبيعي)؛ احتجاجًا بأن امرأة أبي إسحاق السبيعي مجهولة لم يوثقها إلا ابن حبان، وحسَّن هذه الرواية (رواية العريان بن الهيثم) وهذا عجيب جدًا؛ إذ يلزم من ضعف أثر عائشة مهدرًا توثيق ابن حبان أن يضعِّف رواية ابن مسعود، فكل من العريان بن الهيثم وامرأة أبي إسحاق مجهولان لم يوثقهما إلا ابن حبان، أما أن يعتبر توثيق ابن حبان في موضع دون موضع، فهذا مسلك عجيب.

قلتُ: هناك فارق بين امرأة أبي إسحاق، (وهي مجهولة كما ذكرنا من قبل) فلا ينفعها توثيق ابن حبان؛ لأنه متساهل - في الغالب - في توثيق المجاهيل، وبين العريان بن الهيثم الذي ترجم له البخاري في التاريخ الكبير ت٣٧٩، وسكت عنه (فائدة حول سكوت البخاري عن الراوي في التاريخ: لا يستفاد منه توثيقًا ولا تضعيفًا، فهو على الاحتمال. انظر معالم منهج الشيخ أحمد شاكر في نقد الحديث، متولي البراجيلي ص٢٢٦)، وذكره المزي في تهذيب الكمال ترجمة ٣٩١٦؛ وقال: استعمله مسلمة بن عبد الملك على شرط الكوفة، ثم ولاه خالد بن عبد الله القسري الكوفة بعد ذلك، روى عن جمع منهم: عبد الله بن عمرو بن العاص، وقبيصة بن جابر الأسدي، ومعاوية بن أبي سفيان وأبيه الهيثم بن الأسود، وروى عنه جمع، منهم عبد الله بن مضارب، وعبد الملك بن عمير، وعلي بن زيد بن جدعان، وغيرهم. قال محمد بن سعد: كان من رجال مزحك وأشرافهم المذكورين... وقال ابن خراش: جليل من التابعين، وذكره ابن حبان في كتاب (الثقات)... روى له البخاري في الأدب والنسائي ثم ساق حديثه عن ابن مسعود في النامصات (انظر تهذيب الكمال ٢٠/٤٣-٤٦) وذكره الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب ١٩٠/٧، وفي تقريب التهذيب ت٤٥٧٢، وقال: مقبول من الثالثة، وتُعقب الحافظ ابن حجر: بأنه صدوق حسن الحديث، فقد روى عنه جمعٌ، وذكره ابن حبان في الثقات. وقال ابن سعد: كان من رجال مزحك وأشرافهم المذكورين، وقال ابن خراش: جليل من التابعين، أما قول أبي حاتم: مجهول؛ فهو مدفوع بما ذكرنا من حاله ورواية الجمع عنه. (انظر تحرير تقريب التهذيب ١٠/٣-١١).

فشتان بين امرأة أبي إسحاق وبين العريان، فلا يقال: إن الشيخ الألباني تناقض لأنه أخذ مرة بتوثيق ابن حبان، وأخرى لم يأخذ به، والأمر ليس كذلك كما رأيت مما جعل الشيخ يرحمه الله - يقبل رواية العريان، ويرد رواية امرأة أبي إسحاق.

بقي أن يقال: وهل تقبل روايته - رغم تفرده -

(بذكر حلق الجبين) - ففي الحديث: فرأى (ابن مسعود) جبينها يبرق، فقال أتحلقينه؟ فغضبت، وقالت: التي تحلق جبينها امرأتك.... فالذين رووا قصة أم يعقوب مع ابن مسعود رضي الله عنه: علقمة كما في صحيح مسلم ح ٢١٢٥، وغيره، وأبو عبيدة كما عند النسائي في السنن ح ٥٢٥٤، ومسروق كما في مسند أحمد ح ٣٩٤٥، وعبد الرحمن بن عابس في مسند أحمد ح ٤١٢٩. وهؤلاء لم يذكروا (حلق الجبين) كما ذكرها العريان بن الهيثم، لكنه تحملها عن قبيصة بن جابر، وقبيصة هو الذي انطلق مع أم يعقوب إلى ابن مسعود، وشهد القصة والحوار الذي دار بينهما، ووعاها بتفاصيلها؛ لأنه طرف فيها.

وزيادة (حلق الجبين) لا تنافي ما ورد في الروايات الأخرى؛ لأن الروايات الأخرى عممت ولم تخصص في قول أم يعقوب لابن مسعود عن زوجته: فإني أرى شيئًا من هذا على امرأتك.

(هذا) هنا تعود على المذكورات في الحديث: الوشم، والنمص، والتفلج، والوصل والروايات الأخرى ليس فيها ما يعارض رواية العريان، فروايته فيها تفصيل أكثر، فلا وجه لردها؛ إلا من قبيل تعديله، وقد رأينا أنه صدوق حسن الحديث، ولو رفضنا زيادته فيكون إنكار أم يعقوب على العموم، فيدخل فيه النمص الذي تقرر بذكره العريان عن قبيصة.

رابعًا: الحديث الضعيف لا يؤخذ منه حكم:

فالذين أجازوا للمرأة أن تأخذ من حاجبيها اعتمدوا على حديث أم المؤمنين عن عائشة رضي الله عنها عندما سألتها المرأة عن شعرات في وجهها تريد أن تنتفها، فجوزت لها ذلك - سبق ذكر الحديث.

والحديث كما رأينا ضعيف؛ لجهالة امرأة ابن أبي الصقر، وجهالة امرأة أبي إسحاق، والحديث الضعيف لا تؤخذ منه الأحكام، ومن جوز العمل به وضع له شروطا، هي: ١- أن يكون في فضائل الأعمال ٢- أن يكون ضعفه غير شديد، ليس فيه كذاب أو متهم بالكذب. ٣- أن يكون مندرجًا تحت أصل عام، فيخرج الأحاديث المخترعة التي ليس لها أصل شرعي. ٤- أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته لئلا ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يقله.

وقد جلى شيخ الإسلام ابن تيمية هذه المسألة تجلية تامة، وأنقل كلامه هنا عن حكم العمل بالحديث الضعيف لعظيم فائدته ونفاسته قال شيخ الإسلام: «وكذلك ما عليه العلماء من العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال ليس معناه إثبات الاستحباب بالحديث الذي لا يُحتج به، فإن الاستحباب حكم شرعي فلا يثبت إلا بدليل شرعي، ومن أخبر عن الله أنه يحب عملاً من الأعمال من غير دليل شرعي فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله، كما لو أثبت الإيجاب أو التحريم.. وإنما مرادهم بذلك: أن يكون العمل مما قد ثبت أنه مما يحبه الله أو مما يكرهه بنص أو إجماع، كتلاوة القرآن والتسبيح والدعاء والصدقة، والعتق والإحسان إلى الناس، وكراهة الكذب والخيانة، ونحو ذلك. فإذا روي حديث في فضل بعض الأعمال المستحبة وثوابها وكراهة بعض الأعمال وعقابها، فمقادير الثواب والعقاب وأنواعه إذا روي فيها حديث لا نعلم أنه موضوع جازت روايته والعمل به، بمعنى أن النفس ترجو ذلك الثواب أو تخاف ذلك العقاب، كرجل يعلم أن التجارة تربح لكن بلغه أنها تربح ربحًا كثيرًا، فهذا إن صدق نفعه وإن كذب لم يضره، ومثال ذلك الترغيب والترهيب بالإسرائيليات والمنامات وكلمات السلف والعلماء ووقائع العلماء، ونحو ذلك مما لا يجوز بمجرده إثبات حكم شرعي لا استحباب ولا غيره، ولكن يجوز أن يذكر في الترغيب والترهيب والترجية والتخويف.. ثم قال: فإذا تضمنت أحاديث الفضائل الضعيفة تقديرًا وتحديدًا مثل صلاة في وقت معين بقراءة معينة أو على صفة معينة لم يجز ذلك؛ لأن استحباب هذا الوصف المعين لم يثبت بدليل شرعي، بخلاف ما لو رُوي فيه: من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله كان له كذا وكذا، فإن ذكر الله في السوق مستحبٌ؛ لما فيه من ذكر الله بين الغافلين.. فأما تقدير الثواب المروي فيه، فلا يضر ثبوته ولا عدم ثبوته...

فالحاصل أن هذا الباب يروى ويعمل به في الترغيب والترهيب لا في الاستحباب، ثم اعتقاد موجبه وهو مقادير الثواب والعقاب يتوقف على الدليل الشرعي». (انظر مجموع الفتاوى ١٨/٦٥-٦٨).

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

أُصُولُ الآدَابِ وَمَكَارِمُ الأَخْلَاقِ وَجَوَامِعُهَا

الأَمَانَةُ فِي زَمَنِ الزَّمَانَةِ

الحلقة الثانية

إعداد/ د. عماد عيسى
المفتش بوزارة الأوقاف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإنِ أُصُولَ الأَخْلَاقِ مُجْتَمِعَةٌ فِي (الإِحْسَانِ، إِمَّا إِلَى الأَقَارِبِ أَوْ إِلَى الأَجَانِبِ، وَإِمَّا بِالبَدَنِ أَوْ بِالمَالِ، وَإِمَّا عَلَى مَنْ يَسْتَقِلُّ بِأَمْرِهِ أَوْ مَنْ لَا يَسْتَقِلُّ، وَذَلِكَ كُلُّهُ مَجْمُوعٌ فِيمَا وَصَفْتُهُ بِهِ) اهـ. فتح الباري ١/ ٢٤.

وقد ذكرنا في التوطئة في العدد الماضي عن أصول الآداب وجوامع مكارم الأخلاق كما تقدم الحديث قبل ذلك عن الصدق، ونسوق الحديث هذه المرة عن خلق نفيس وأدب عزيز كريم نبيل وهو خلق الأمانة الذي أدركت فيه المسلمين آفته وزمانته (والزمانة آفة وعاهة، يقال رجل زَمِن، أي: مبتلى بيِّن الزمانة) (لسان العرب مادة زمن).

فَقَدْ جَاءَ فِي وَصْفِ خَدِيجَةَ لِنَبِيِّنَا -صلى الله عليه وسلم- فِي حَدِيثِ بَدْءِ الوَحْيِ " وَتُؤَدِّي الأَمَانَةَ"، وهذا وصف معاينة لا وصف سماع " وليس الخبر كالمعاينة"، كما قال صلى الله عليه وسلم رواه أحمد عن ابن عباس. (صحيح - المشكاة: ٥٧٣٨).

إن خديجة رضي الله عنها ممن جربت نبينا صلى الله عليه وسلم في تجارته بمالها، فكان أعظم الناس أمانة حتى أن إعجابها بذلك دعاها إلى الزواج منه مع ما كان بينهما من السن فقد كانت خديجة تكبره بزهاء خمسة عشر عامًا كما هو مشتهر عند علماء السير.

وَالأَمَانَةُ مِنَ الكَلِمَاتِ الجَامِعَةِ لِلْمَعَانِي الكَثِيرَةِ، شَأْنُهَا شَأْنَ كَلِمَةِ " النَّصِيحَةِ " وَنَحْوِهَا مِنَ الكَلِمَاتِ الجَوَامِعِ، فَالأَمَانَةُ هِيَ الدِّينُ كُلُّهُ، فَمَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَسَلَكَ الجَادَّةَ وَأَمِنَ العِثَارَ.

قال ابن فارس: الهَمْزَةُ وَالمِيمُ وَالنُّونُ أَصْلَانِ مُتَقَارِبَانِ: أَحَدُهُمَا الأَمَانَةُ الَّتِي هِيَ ضِدُّ الخِيَانَةِ، وَمَعْنَاهَا سُكُونُ القَلْبِ، وَالآخَرُ التَّصْدِيقُ. وَالمَعْنَيَانِ كَمَا قُلْنَا مُتَدَانِيَانِ.

وَقَالَ الخَلِيلُ: الأَمَنَةُ مِنَ الأَمْنِ. وَالأَمَانُ إِعْطَاءُ الأَمَنَةِ. وَالأَمَانَةُ ضِدُّ الخِيَانَةِ.اهـ. (معجم مقاييس اللغة: ١/ ١٣٣).

قيمة الأمانة:

وَهِيَ صِنْوُ الصِّدْقِ وَبَيْنَهُمَا تَلَازُمٌ فَلَا يَصْدُقُ إِلَّا مَنْ كَانَ أَمِينًا، وَلَا يُؤْتَمَنُ إِلَّا مَنْ كَانَ صَادِقًا، وَلِهَذَا كَانَتْ العَرَبُ قَبْلَ الإِسْلَامِ تُلَقِّبُ النَّبِيَّ- صلى الله عليه وسلم- بِالصَّادِقِ الأَمِينِ، وَلَا عَجَبَ فَقَدْ كَانَ كُلُّ مَنْ رَأَى وَجْهَ نَبِيِّنَا- صلى الله عليه وسلم- الصَّبِيحَ اسْتَنْطَقَ فَاهُ بِالتَّسْبِيحِ، فَقَدْ كَانَ مَاءُ البِشْرِ يَجْرِي فِي غُرَّتِهِ، وَيَتَفَتَّقُ النُّورُ مِنْ أَسِرَّتِهِ، فَهَذِهِ أَخْلَاقُهُ- صلى الله عليه وسلم - الَّتِي لَوْ مُزِجَ بِهَا مَاءُ البَحْرِ الأُجَاجِ لَصَارَ عَذْبًا فُرَاتًا سَائِغًا شَرَابُهُ وَحَسُنَ طَعْمُهُ وَلَوْ اقْتَدَى بِهَا أَحَدٌ لَذَهَبَ هَمُّهُ وَزَالَ غَمُّهُ.

إِنَّ أَدَاءَ الأَمَانَةِ خُلُقٌ لَا يُؤْتَاهُ إِلَّا المُوَفَّقُونَ وَمَنْ ذُلِّلَتْ لَهُمْ سُبُلُ المَكَارِمِ تَذْلِيلًا وَهِيَ عَلَى النَّفْسِ حِمْلٌ ثَقِيلٌ إِذْ إِنَّ النَّفْسَ لَا تُحِبُّ أَنْ تَحْمِلَ شَيْئًا بَلْ تُرِيدُ عَيْشَ الدَّعَةِ، وَالعَالَةِ، وَتُؤْثِرُ الرَّاحَةَ وَتَرْكَنُ إِلَى الكَسَلِ وَعَدَمِ الاجْتِهَادِ وَتَمِيلُ إِلَى الإِخْلَادِ إِلَى الأَرْضِ، وَتِلْكَ هِمَّةُ نَفْسٍ قَعِيدَةٍ لَا يَأْنَفُ صَاحِبُهَا مِنْ مُجَانَسَةِ البَهَائِمِ قَالَ تَعَالَى: " **إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ** " (يوسف: ٥٣).

وَبِمثْل هَذه النُّفُوس الْخَاسِرَة الْمهِينَة وَالْهِمَم الْفَاتِرَة الْقَعِيدَة تَضِيعُ الأُمَمُ وَتَسْقُطُ الأَخْـلاقُ وَتُهْدَمُ الْحضَارَةُ، بَلْ تَسْبِقُ الأُمَمَ سَوَابِقُ الْهَلَكَة وَالْعَجْز وَالْعَدَم، وَتَلْحَقُهُمْ لَوَاحِقُ الْهَزِيمَة وَالنَّدَم، الَّذِي لا يَنْفَعُ بَعْدَ الْفَوَات، وَفِي اللّه خَلَفٌ مِنْ كُلِّ فَائِت، وَدَرَكٌ مِن كُل مُصِيبَة.

وَفِي مِثْل هَؤُلاءِ يُقَال:

فَنِعْمَ المرءِ أَنْتَ لَدَى المخَازِي

وَبِئْسَ المرءِ أَنْتَ لَدَى المعَالِي

أَمَّا ذَوُو الْهِمَم الَّتِي تُشَامُ الْقِمَمَ فَإِنَّهُمْ يَرْحَلُونَ إِلَيْهَا مِنْ كُلِّ الْبِلَاد، وَيُنَادُونَ عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ نَاد، حَتَّى وَهُمْ يَجُودُونَ بِأَنْفَاسِهِمْ رَحِيلاً إِلَى الآخِرَة وَيَوْمَ التَّنَاد.

إِنَّ الأُمَّـة بِغَيْر هَـذِه الأَخْـلاق الْقَوِيمَة، أُمَّةٌ عَاقِرٌ أَرْحَامُهَا مِنَ الْفَضَائِل عَقِيمَةٌ، وَأَجْيَالُهَا سَقِيمَةٌ غَيْرُ مُسْتَقِيمَة، فَأَنَّى تُفْلِحُ؟!

لَقَدْ كَانَ الْعَرَبُ قَوْمًا عَادِين، يُغِيرُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْض، وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ الضَّعِيفَ، وَيَقْطَعُونَ الأَرْحَام، وَيُسِيئُونَ الْجِـوَار، وَيَأْكُلُونَ أَمْـوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا، وَيَشْهَدُونَ الزُّور، وَتَجْرِي فِي عُرُوقِهِمْ حَمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّة، وَيَأْتُونَ الْفَوَاحِش، وَيَنْتَهِكُونَ الْمَحَارِمَ، وَيَقْذِفُونَ الْمُحْصَنَاتِ، وَيَقْتُلُونَ النَّاسَ بِغَيْر الْحَقِّ، فَمِثْلُ هَـؤُلاءِ - بِهَذِه الأَخْلاقِ- لا يَحْفَظُونَ حَقًّا، وَلا يُؤَدُّونَ أَمَانَةً.

وَقَدْ أَحْسَنَ جَمْعَ أَخْلاقِهِمُ الْجَاهِلِيَّة- فِي سِيَاقٍ وَاحِد- الصَّحَابِيُّ الْهَاشِمِيُّ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِب- رَضِيَ اللّه عَنه- حِينَ خَاطَبَ مَلِكَ الْحَبَشَةِ فَقَالَ لَه: "أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّة نَعْبُدُ الأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الأَرْحَـامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللّه إِلَيْنَا رَسُولاً مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ،فَدَعَانَا: إِلَى اللّه تَعَالَى لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِه مِنَ الْحِجَارَة وَالأَوْثَـان، وَأَمَرَ بِصِدْقِ الْحَـدِيـث، وَأَدَاءِ الأَمَـانَـة، وَصِلَةِ الـرَّحِـم، وَحُسْنِ الْجِـوَار، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَـارِم وَالـدِّمَـاء. وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِش، وَقَوْلِ الزُّور، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيم، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَة وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللّه وَحْدَهُ لا نُشْرِكُ بِه شَيْئًا وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاة وَالزَّكَاة وَالصِّيَام ". قَالَ: فَعَدَّدَ عَلَيْه أُمُورَ الإِسْلَام " (رواه أحمد بإسناد حسن ٥/ ٢٩٠-٢٩٢).

وَانْظُرْ فِي أَعْطَاف هَـذَا السِّيَاقِ تَـرَى كَلِمَاتٍ تُنْبِئُ الْحَاذِقَ الْبَصِيرَ وَالْغُفْلَ الرِّيِّضَ كِلَيْهِمَا عَلَى السَّوَاءِ بِقَدْرِ حَرِيقِ الْجَاهِلِيَّة لِلأَخْلاق الَّذِي لا يُطْفِئُه إِلا سَيْلُ الْمِدَاد وَالْكِتَابَة عَنْ أَخْلاقِ ذَوِي السَّدَاد، وَمَدَدُ الاقْتِدَاءِ بِأَهْل الرَّشَاد، مَعَ انْطِلاقِ لِسَان، وَقُوَّةِ بَنَان، وَجُرْأَةِ قَلْبٍ وَإِخْلاصِ جَنَان وَاللّه الْمُسْتَعَانُ عَلَى بَلايَا وَمِحَنِ آخِرِ الزَّمَان.

وَلِهَذَا أَعْمَلَ النَّبِيُّ- صلى الله عليه وسلم - جُهْدَهُ فِي إِصْلَاحِ هَذه الأَخْلاقِ السَّقِيمَة وَأَحَلَّ مَحَلَّهَا- فِي نُفُوسِ أَصْحَابِه - مَا اسْتَطَاعَ مِنَ الأَخْلَاقِ الْقَوِيمَة، فَأَخْرَجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَات إِلَى النُّور، وَنَقَلَهُمْ مِنَ الْجَهْل إِلَى الْعِلْم، وَأَوْرَثَـهُـمْ بَعْدَ الْعَـدَاوَة الأُلْفَةَ وَالسِّلْم، وَهَدَاهُمْ مِن الضَّلَالَة وَالْجَهَالَة الْحَائِرَة، وَأَنْذَرَهُمُ الْعُقُوبَاتِ الزَّاجِرَة، وَبَشَّرَهُمْ بِالتَّوْبَة وَالضَّمَانَاتِ الْجَابِرَة حتى بلغ رسالة ربه كاملة.

وَفِي كَثِيرٍ مِن الأَحَـادِيـث نَجِـدُهُ- صلى الله عليه وسلم- يُوصِي بِالأَخْلَاقِ وَيَتَعَاهَدُهَا مَعَ آحَادِ النَّاس وَأَفْرَادِ الصَّحَابَة بَلْ مَعَ الْوُفُود، فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ- صلى الله عليه وسلم- يَعْتَنِي بِذِكْر الأَمَانَة وَالْحَثِّ عَلَيْهَا فَيُوصِيهِمْ بِهَا فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَة.

وَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْه- صَلَّى اللّه عَلَيْه وَسَلَّم- فِي شَهْر شَعْبَانَ سَنَةَ عَشْرٍ وَفْدُ خَوْلَان، وَهُمْ عَشَرَةٌ فَقَالُوا: " يَا رَسُولَ اللّهِ، نَحْنُ عَلَى مَنْ وَرَاءَنَا مِنْ قَوْمِنَا، وَنَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِاللّه عَزَّ وَجَلَّ، وَمُصَدِّقُونَ بِرَسُولِه، وَقَدْ ضَرَبْنَا إِلَيْكَ آبَاطَ الإِبِل، وَرَكِبْنَا حُزُونَ الأَرْض وَسُهُولَهَا، وَالْمِنَّةُ لِلّه وَلِرَسُولِه عَلَيْنَا، وَقَدِمْنَا زَائِرِينَ لَك...، وَسَأَلُوهُ عَنْ فَرَائِض الدِّين، فَأَخْبَرَهُمْ وَأَمَرَهُمْ بِالْوَفَاءِ بِالْعَهْد، وَأَدَاءِ الأَمَـانَـة، وَحُسْنِ الْجِـوَار لِمَنْ جَـاوَرُوا، وَأَنْ لا يَظْلِمُوا أَحَدًا. قَال: " فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَة " ثُمَّ وَدَّعُوهُ بَعْدَ أَيَّام وَأَجَازَهُم فَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ، فَلَمْ يَحُلُّوا عُقْدَةً حَتَّى هَدَمُوا " عَمَّ أَنَس» (وَهُوَ صَنَمُ خَوْلَانَ الَّذِي كَانُوا يَعْبُدُونَهُ) ينظر: زاد المعاد: ٣/ ٥٧٩.

وَكَانَ النَّبِيُّ- صلى الله عليه وسلم- يُوصِي النَّاسَ بِالأَمَانَة بَلْ كَانَ يَجْعَلُهَا فِي مُقَدِّمَة وَصَايَاه، وَقَدْ أَدْرَكَ الْمُشْرِكُونَ ذَلِكَ فَكَانُوا يَعُدُّونَ أَمْرَ نَبِيِّنَا- صلى الله عليه وسلم- بِالأَمَانَة وَوَصِيَّتَه بِهَا عَلَمًا مِنْ أَعْلامِ نُبُوَّتِه.

فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: أخبرني أبو سفيان، قال أي هرقل: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والزكاة والصدق والعفاف والصلة. (رواه البخاري: ٧).

وفي لفظ: أن هرقل قال له: سألتك ماذا يأمركم؟ فزعمت: " أنه أمركم بالصلاة، والصدق، والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة "، قال: وهذه صفة نبي. (رواه البخاري: ٢٦٨١)

وكذلك كان الصحابة من بعده في وصيتهم بالأمانة.

فعن ميمون بن مهران: جاء رجل إلى سلمان فقال: يا أبا عبد الله أوصني قال: لا تتكلم. قال: ما يستطيع من عاش في الناس أن لا يتكلم قال: فإن تكلمت، فتكلم بحق أو اسكت. قال: زدني، قال: لا تغضب قال: أمرتني أن لا أغضب، وأنه ليغشاني ما لا أملك، قال: فإن غضبت، فاملك لسانك ويدك، قال: زدني، قال: لا تلابس الناس، قال: ما يستطيع من عاش في الناس أن لا يلابسهم، قال: فإن لابستهم فاصدق الحديث وأد الأمانة (تهذيب الكمال: ١١/٢٥٤).

حاجتنا إلى الأمانة:

هي حاجة المرء إلى الماء البارد على الظمأ، فوالله إن الأمانة اليوم في الناس لقليل بل أقل من الذهب الأحمر، وإذا كان المتقدمون يشكون ذهابها فما بالنا اليوم؟!

فالأمانة خلق عزيز صاحبها ميمون الغرة مبارك الطلعة جم الفواضل كثير النوافل.

ولعزتها وندرتها باتت وكأنها عدت عليها عوادي الدهر فلم يبق منها إلا أشياء قلائل وبقية باقية من شمائل ومخائل، وكلما تقادم الزمان عز جانبها وقل صاحبها، مع أن كل ذخائر الدنيا بعرض المتالف إلا ذخيرة الأمانة.

ولهذا بات لزاما علينا إحياؤها وإيقاظها من منامها، والحذر من الغفلة عنها، فكلما امتد التراخي عن الوصية بها والتحذير من فاقديها تسورت سورها النخالة تخب فيها وتضع، فأضاعتها وعملت بضدها ونواقضها وأعظم نواقضها الخيانة.

قال الحارث المحاسبي: "ثلاثة أشياء عزيزة أو معدومة: حسن الوجه مع الصيانة، وحسن الخلق مع الديانة، وحسن الإخاء مع الأمانة" (تهذيب الكمال: ٥/٢١٢).

قال ليث بن أبي سليم: "كان طاووس يعد الحديث حرفا حرفا، وقال: تعلم لنفسك، فإن الناس قد ذهبت منهم الأمانة".

وعن عمران بن حصين يحدث، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"، قال عمران: فلا أدري أقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قرنه، مرتين أو ثلاثة- "ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن»، رواه البخاري (٢٦٥١، ٣٦٥٠) ومسلم (٢٥٣٥).

الخيانة شر مستقرا وشر مقيلا:

صاحبها لا يرجى فلاحه ولا يلوح نجاحه، وباب الصواب عنه مسدود، وقلبه عن طريق الرشاد مصدود، وما ذلك إلا لسوء قصده، وخبث نيته، وفساد باطنه وقبح طويته.

إن الخيانة تهون ارتكاب القبائح والمآثم وتخرج من القلب تعظيم المحارم، فكم ضرت ضررا بينا وجاءت ببلاء ليس هينا، وكم أفقرت من غني، وأذلت من عزيز، ووضعت من شريف، وسلبت من نعمة، وجلبت من نقمة، وأوقعت في بلية، وأورثت من خزية فهي في جملتها جلابة النقم سلابة النعم.

إن الخيانة أشد ما فيها أنها تعصف بأصول الأخلاق وفروعها عصفا فهي للمكارم ريح عاصف وشر قاصف.

وهل منيت الأمة منذ قرون طويلة بهزائم لا تعرف العزائم إلا من أثر الخيانة وفقدان الصفة الجليلة، وهي خلق الأمانة؟!

لقد ألقت الخيانة في الأمة بعصاها وحذفت بحصاها حتى أضحت سجية لأقوام ليس لهم خلاق، واستطار شررها واستعرت نارها فمن لم يحترق بها أصابه دخانها، فإلى الله المشتكى.

المسلم بين إرادة التغيير وإدارته

الحلقة الثالثة

إعداد/ د/ياسر لمعي عبدالمنعم
أستاذ الإدارة والتنمية البشرية المساعد
بجامعة التضامن الفرنسية العربية بالنيجر

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وبعد:
ذكرنا في المقال الأول أننا بحاجة للتغيير والتطوير والتنمية، نعم نحن بحاجة لتغيير العادات وتطوير الآليات وتنمية المهارات، فكانت أولى التوصيات أن نضع مقياساً ومعياراً لأفعالنا وأقوالنا لكي نحدد الدرجة التي نحن عليها، ومدى قبولنا عند الناس، ومدى تأثيرنا فيهم، والوجهة التي نريدها، فما يمكن قياسه يمكن تقييمه وتقويمه.



وفي المقال الثاني وضحنا ضرورة العمل على تقوية الثقة بالله وحسن التوكل عليه وذكرنا لك بعض طرق استنهاض الثقة بالنفس والعمل على تقويتها.

وفي ثالث لقاءاتنا معك نذكر لك بعض الشعارات التي تساعد المسلم على اكتساب الثقة بنفسه وكيفية استنهاضها وتقويتها:

قال تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ » (التوبة: ١١٩).

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «أي اصدقوا الله والزموا الصدق تكونوا من أهله وتنجوا من المهالك ويجعل لكم فرجا من أموركم ومخرجا».

وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صدِّيقًا، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يُكتب عند الله كذابًا»، فقال ابن مسعود: الكذب لا يصلح من جد ولا هزل، اقرؤوا إن شئتم: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ » (التوبة: ١١٩).

من هذا النص يتضح لنا كيف أن الإسلام حثَّ على الصدق قولاً وعملاً لما يبعث في نفس العبد الطمأنينة والراحة في الدنيا من تحرِّي العبد الصدق، وفي الآخرة أنه يكتب عند الله صديقاً ومآله إلى الجنة إن شاء الله، ومن هذا الفهم نأخذ هذا الشعار.

الشعار الأول: تحدث براحة وبكل صراحة:

قال تعالى: « ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ » (الرعد: ٢٨).

يقول بعض المفسرين: «تطمئن القلوب بإحساسها بالصلة بالله والأنس بجواره والأمن في جانبه وفي حماه، وتطمئن من قلق الوحدة وحيرة الطريق بإدراك الحكمة في الخلق والمبدأ والمصير، وتطمئن بالشعور والحماية من كل اعتداء ومن كل شر إلا بما يشاء مع الرضا بالابتلاء والصبر على البلاء وتطمئن برحمته بالهداية والرزق والستر في الدنيا والآخرة؛ ذلك الاطمئنان حقيقة عميقة يعرفها الذين خالطت بشاشة الإيمان

قلوبهم، واتصلت بالله ولا يملكون بالكلمات أن ينقلوها للآخرين؛ لأنها لا تنقل بالكلمات إنما تسري في القلب ليستروحها فيهش لها ويستريح إليها ويستشعر الطمأنينة والسلام».

كن طبيعيًا إذا أردت أن تخاطب الآخرين، ولخص أفكارك وتكلم في المصالح المشتركة، واجعل الكلمات تخرج من فمك بطريقة سلسة، واهدأ بالاً واعتقد أن الأصل في المخاطبين أنهم يتمنون لك النجاح.

الشعار الثاني: تسجيل الإنجازات في دفتر الحسابات:

قال تعالى: « أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا » (الأحقاف: ١٦).

قال الإمام ابن كثير: «أي هؤلاء المتصفون بما ذكرنا التائبون إلى الله المنيبون إليه يتقبل منهم أحسن ما عملوا، ويتجاوز عن سيئاتهم فيغفر لهم الكثير من الزلل، ويتقبل منهم اليسير من العمل» اهـ رحمه الله.

عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن».

فإذا كنت وحيدًا في مكان ما فثق بنفسك، واستشعر قبل ذلك الأنس بالله، ولا تجعل الوحدة تجلب عليك خوفًا، لأن الخوف يخلخل الثقة.

فسبحان من حبَّب إلينا الأعمال الصالحة ورغَّب فيها، قال: «نتقبل عنهم أحسن» أي أفضل وأخفى وأتقى وأخلص الأعمال، إذًا سَجِّل إنجازاتك في دفتر حساباتك كل ليلة قبل أن تنام، أقم مع نفسك مؤتمرًا صحفيًا، وسجل في هذا المؤتمر بالتدوين على ورقة جميع إنجازاتك في اليوم، مثال قل لنفسك: لقد زرت فلانًا في الله وأعنت رجلاً على دابته، وتصدقت على زوجي، وأحسنت إلى زملائي، وابتسم لي المدير؛ وذلك لأني أنجزت عملي وعندما تحس أن ثقتك بنفسك قد تزعزعت، ارجع إلى هذا الدفتر وشاهد إنجازاتك لترتفع وتنتعش ثقتك بنفسك ، واسأل الله الإخلاص.

الشعار الثالث: اعمل بحماس ولا تخش رأي الناس:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس».

يفهم من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن العبد إذا عمل عملاً ليس عليه أمر الله من الرضا والإخلاص والتوحيد إرضاءً للناس غضب الله عليه وسخط عليه، كذلك أسخط الناس عليه، وإن كان العبد يضرب الذكر صفحًا عن الناس ولا يراقبهم ويعمل العمل لله سبحانه كُتب له القبول في الأرض، إن شاء الله.

الشعار الرابع: ليكن لديك قناعة بترويح النفس ساعة:

عن حنظلة رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا فذكر النار قال: ثم مشيت إلى البيت فضاحكتُ الصبيان ولاعبت المرأة فخرجت فلقيت أبا بكر فذكرت ذلك له فقال: وأنا قد فعلت مثل ما ذكرت فلقيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله نافق حنظلة، فقال: مه، فحدثوه بالحديث فقال أبو بكر: وأنا قد فعلت مثل ما فعل، فقال: «يا حنظلة ساعة وساعة، ولو كانت قلوبكم كما تكون عند الذكر لصافحتكم الملائكة حتى تسلم عليكم بالطرق».

نأخذ من هذا الحديث وهو الشاهد أن النبي صلى الله عليه وسلم أباح لصحابته وللأمة من بعده المزاح والترويح عن النفس بالضوابط الشرعية، فقد ثبت أنه كان يسابق عائشة، وأنه كان لا يمازح إلا حقًا ولا يقول إلا صدقًا، وسبحان القائل: « وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ » (النجم: ٤٣).

عليك أن تكون محتسبًا في نياتك وأعمالك، متحمسًا جادًا في كل أفعالك، ولا تكن محبطًا أو مثبطًا، فاعمل دومًا في نشاط، ولا تجعل الفتور ينتابك، بل حفز غيرك ليتعدى خيرك! ولا تنتظر شكرًا من أحد.

إن النفوس تمل من الرتابة وتضيق بالتكرار ذرعًا، فيجب مراعاة ذلك، وعلى المرء أن يجعل لنفسه كفلاً من الراحة، وقسطًا من التجديد، ماذا لو خرجت أنت وأولادك؟ ماذا لو غيَّرت نظامك في ملابسك بالضوابط الشرعية؟ ماذا لو جلست جلسة تأمل؟ اخرج من بيتك، خذ نفسًا عميقًا قرر: سأمارس رياضة المشي لمدة نصف ساعة وهكذا.

الشعار الخامس: لا تخش ماضيك:

« لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ »(الحديد: ٢٣).

يقول أحد المفسرين في هذه الآية: «فاتساع أفق النظر، والتعامل مع الوجود الكبير، وتصور الأزل الأبد، ورؤية الأحداث في مواضعها المقدرة من علم الله، الثابتة في تصميم هذا الكون.. كل أولئك يجعل النفس أفسح وأكبر وأكثر ثباتًا ورزانة في مواجهة الأحداث العابرة حتى تنكشف للوجود

الإنساني وهي مارة به في حركة الوجود الكوني».
لا تخش ماضيك المؤلم، دع ماضيك وانسه، ثم انطلق نحو مستقبل بكْر مشرق، بل خذ منه عبرة وخذ منه عظة، وتوكل على الحي الذي لا يموت.

الشعار السادس: «عمِّر ولا تدمِّر»:

قال تعالى: «وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ» (القصص: ٧٧).
يقول أحد المفسرين: «ولا تبغ الفساد في الأرض... الفساد بالبغي والظلم، والفساد بالمتاع المطلق من مراقبة الله ومراعاة الآخرة والفساد بملء صدور الناس بالحرج والحسد والبغضاء، والفساد بإنفاق المال في غير وجهه أو إمساكه عن وجهه على كل حال»، كأنه يخاطب شخصًا يريد أن يصلحه وهو عليه مشفق وله محب إذًا: عمِّر ولا تدمر.
ليكن دائمًا شعارك أن تعمر الثقة في نفوس الناس، ولا تتشاءم وكن على الدوم متفائلاً، وتذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يَخشى إلا الله والذئب على الغنم».

الشعار السابع: (كن عالي الأخلاق وتجول في الآفاق):

قال تعالى: «وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا» (البقرة: ٨٣).
وقال تعالى: «وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ» (الحج: ٢٤).
عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أحبكم إلي وأقربكم مني في الآخرة أحاسنكم أخلاقا، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني في الآخرة الثرثارون المتفيهقون المتشدقون»، قالوا: قد علمنا الثرثارون فما المتشدقون المتفيهقون؟ قال: «المتكبرون».
ظاهر الآيات كباطنها تحث الجميع على المبالغة في القول الحسن وهو توفيق من الله سبحانه؛ لذا حثنا صلى الله عليه وسلم على القول الحسن لأنه علامة على الأخلاق الحسنة.
لذا كن عالي الأخلاق وتجول في الآفاق.
لابد أن تتحلى بسمو الأخلاق، فكلما حسنت أخلاقك كلما زادت ثقتك بنفسك، فالدين المعاملة، والرجل بحسن خلقه يصل إلى درجات صائم النهار وقائم الليل، كما أخبر بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم.

الشعار الأخير: (كن مع التجديد على المدى البعيد):

قال تعالى: «وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ» (النحل: ٨):
««وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ» يقول أحد المفسرين: يعقب على خلق الأنعام للأكل والحمل والجَمَال، وخلق الخيل والبغال والحمير للركوب والزينة، ليظل المجال مفتوحًا في التصور البشري لتقبل أنماطا جديدة من أدوات الحمل والنقل والركوب والزينة، فلا يغلق تصورهم خارج حدود البيئة، وخارج حدود الزمان الذي يظلهم فوراء الوجود في كل مكان وزمان صور أخرى، يريد الله للناس أن يتوقعوها فيتسع تصورهم وإدراكهم ويريد لهم أن يأنسوا بها حين توجد أو حين تكشف فلا يعادوها ولا يجمدوا دون استخدامها والانتفاع بها».
بهذا العرض المجمل نجد النفس مطمئنة منشرحة وعندها من الدوافع الإبداعية ما يكفيها لكي تتعايش مع أي تطور أو تجديد يأتي للبشرية.
إذًا كن مع التجديد على المدى البعيد.
لا بد أن تؤمن بأهمية التجديد والابتكار والإبداع والتطوير في حياتك.
ومن المهم الإشارة-هنا- إلى أمر مهم لم يُذكر سابقًا، وهي نقطة مهمة في عصر كثر فيه التشاؤم، وانتشر فيه اليأس.
التفاؤل: فعليك أن تكون دومًا متفائلاً، وابدأ يومك بالتفاؤل. لقد كان أحد العلماء في مجلس ما فجاءه أحد الطلبة، وقال له-وكانت الدورة في المساء-: صبحك الله بالخير يا دكتور، فقال له: صباح النور، لكن على فكرة نحن في الليل؟! فقال له الرجل: لا بل صبَّحك الله بالخير يا دكتور.
فقال له: لماذا الصباح والدنيا ليل؟
قال الطالب: لأني أريد أن أكون متفائلاً. فقلت له: وما وجه التفاؤل فيما تقول؟ قال لي: أسمعت قول الشاعر:

صبَّحتُه عند المساء فقال لي:
تهزأ بقدري أم تريدُ مزاحا
فأجبتُه: إشراقُ وجهك غرني
حتى توهمتُ المساءَ صباحا

ما أروع التفاؤل الموجود في هذين البيتين؛ فالمتفائل له نظرة إيجابية لكل ما فيه فائدة ومنفعة. والمتشائم له نظرة سلبية لكل ما فيه إحباط وتثبيط.
ونخلص من هذه الشعارات إلى أنه يجب على المسلم أن يكون متفائلاً ويزرع هذا في أولاده وفي من حوله وليجدد بيته ونفسه ومن حوله بهذه الخواطر التي كتبتها لك، كما أرجو أن أكون قد ساهمت معك في وضع النقاط على الحروف في قرار التغيير للأفضل وللأحسن وعناصره وطرقه؛ راجيًا من الله تبارك وتعالى أن نلتقي الشهر المقبل، وأنت في أفضل حال، وقد لاح لك الطريق جليا، وتغلبت على العقبات، عسى أن أكتب لك بعض خواطري عن التفكير ومهاراته التي تعينك على ما يأتي إن شاء الله..

دمتم في أمان الله وحفظه.

فقر المشاعر بين الوالدين والأولاد

الحلقة الثانية

إعداد/ د. محمد إبراهيم الحمد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فحديثنا في هذا العدد عن فقر المشاعر بين الوالدين والأولاد، فتجد من الأولاد من لا يرعى حق والديه، لا يراعي مشاعرهما؛ فتراه لا يأنف من إبكائهما، وتحزينهما، ونهرهما، والتأفف والتضجر من أوامرهما، والعبوس وتقطيب الجبين أمامهما؛ فمن الناس من تجده في المجالس هاشا باشا حسن المعشر لين العريكة؛ فإذا دخل المنزل، وجلس إلى والديه انقلب ليثًا هصورًا لا يلوي على شيء؛ حيث تتبدل حاله، فتذهب وداعته، وتحل غلظته وفظاظته.

ومن الأولاد من لا ينظر إلى والديه إلا شزرًا، قال معاوية بن إسحاق عن عروة بن الزبير- رحمهم الله ورضي عنهم-: «ما برَّ والده من شدَّ الطرف إليه». (سير أعلام النبلاء ٤/٤٣٣).

ومن قلة المراعاة لمشاعر الوالدين: قلة الاعتداد برأيهما، والإشاحة بالوجه عنهما إذا تحدثا، وإثارة المشكلات أمامهما، وذمهما عند الناس، والقدح فيهما، والتبرؤ منهما، والحياء من الانتساب إليهما.

كل ذلك داخل في العقوق وقلة الرعاية لمشاعر الوالدين، وكأن هؤلاء لم يقرؤوا قوله تعالى: «وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا» (الإسراء: ٢٣- ٢٤).

ولم يسمعوا قول النبي صلى الله عليه وسلم: «الكبائر الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس». (رواه البخاري: ٦٦٧٥).

فحري بالولد أن يسعى سعيه في بر والديه؛ فيحسن إليهما، ويخفض الجناح لهما، ويصغي إلى حديثهما، ويتودد لهما بكل ما يستطيع من بر وصلة، ويتجنب كل ما يفضي إلى العقوق والتكدير.

وليكن له في سلفنا الصالح قدوةٌ؛ فلقد ضربوا أروع الأمثلة في البر، ومراعاة مشاعر الوالدين، وإليك طرفًا من ذلك:

عن أبي مُرة مولى أم هانئ بنت أبي طالب: أنه ركب مع أبي هريرة إلى أرضه بالعقيق، فإذا دخل أرضه صاح بأعلى صوته: عليك السلام ورحمة الله وبركاته يا أمه. تقول: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته. يقول: رحمك الله كما ربيتني صغيرًا. فتقول: «يا بني! وأنت فجزاك الله خيرًا ورضي عنك كما بررتني كبيرًا». (البخاري في الأدب المفرد: ١٤).

وهذا ابن عمر- رضي الله عنهما- لقيه رجل من الأعراب بطريق مكة، فسلم عليه عبد الله بن عمر، وحمله على حمار كان يركبه، وأعطاه عمامة كانت على رأسه. قال ابن دينار: فقلنا له: أصلحك الله! إنهم الأعراب، وهم يرضون باليسير. فقال عبد الله بن عمر: إن أبا هذا كان وُدًّا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن أبرَّ البر صلة الولد أهل ودِّ أبيه». (مسلم: ٢٥٥٢).

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دخلت الجنة فسمعت فيها قراءة، فقلت: من هذا؟ قالوا: حارثة بن النعمان، كذلكم البر، كذلكم البر، وكان أبر الناس بأمه». (رواه أحمد ٦/١٥١).

وعن أبي عبد الرحمن الحنفي قال: رأى كهمس بنُ الحسن عقربًا في البيت، فأراد أن يقتلها، أو يأخذها، فسبقته، فدخلت في جحر، فأدخل يده في الجحر ليأخذها، فجعلت تضربه، فقيل له: ما أردت إلى هذا؟ قال: خفت أن تخرج من الجحر فتجيء إلى أمي، فتلدغها. (حلية الأولياء ٢١١/٦، وانظر سير أعلام النبلاء ٣١٧/٦).

وهذا أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو المسمى بزين العابدين، وكان من سادات التابعين- كان كثير البر بأمه، حتى قيل له: «إنك من أبر الناس بأمك، ولا نراك تؤاكل أمك، فقال: أخاف أن تسير يدي إلى ما سبقت عينها إليه؛ فأكون قد عققتها». (عيون الأخبار ٩٧/٣).

وقال هشام بن حسان: «حدثتني حفصة بنت سيرين، قالت: كانت والدة محمد بن سيرين حجازية، وكان يعجبها الصِّبغ، وكان محمد إذا اشترى لها ثوبًا اشترى ألين ما يجد، فإذا كان عيد صبغ لها ثيابًا، وما رأيته رافعًا صوته عليها، كان إذا كلمها كالمصغي». (سير أعلام النبلاء ٦١٩/٤).

وعن بعضِ آل سيرين قال: «ما رأيت محمد بن سيرين يكلم أمه قط إلا وهو يتضرع. وعن ابن عون أن محمدًا كان إذا كان عنده أمه لو رآه رجل ظن أن به مرضًا من خفض كلامه عندها». (المحاسن والمساوئ لإبراهيم البيهي ص٦١٤).

من صور فقر المشاعر مع الأبناء:

وكما أن هناك من الأولاد من لا يحسن التعامل مع والديه، ولا يراعي مشاعرهما، فهناك من الوالدين من هو كذلك، فبعضهم يقسو على أولاده قسوة تخرجه عن طوره، فتراه يضربهم ضربًا مبرحًا عند أدنى هفوة، وتراه يبالغ في عتابهم وتوبيخهم عند كل صغيرة وكبيرة، وتراه يُقتر عليهم مع قدرته ويساره، مما يجعلهم يشعرون بالنقص والحاجة، وربما قادهم ذلك إلى البحث عن المال إما بسرقة، أو بسؤال الناس، أو بالارتماء في أحضان رفقة السوء؛ فيفقدون إنسانيتهم، وكرامتهم.

ومن الوالدين مَن يحرم أولاده من الشفقة والحنان، وإشباع العواطف؛ مما يحدوهم إلى البحث عن ذلك خارج المنزل.

ويشتد الأمر إذا كان ذلك في حق البنات؛ فهن أرق شعورًا، وأندى عاطفة؛ فإذا شعرت بفقر من هذا الجانب أظلمت الدنيا في وجهها، وربما قادها ذلك إلى البحث عما يُشبع عواطفها؛ ولعل هذا من أعظم أسباب المعاكسات، وضيعة الآداب.

ومما يجرح مشاعر الأولاد: التفريق بينهم، وترك العدل في معاملتهم سواء كان ذلك في العطايا والهبات والهدايا، أو بالمزاح والملاطفة والحنان.

ومما يدخل في هذا القبيل: احتقار الأولاد، وذلك مما يجعل الواحد منهم عديم الثقة بنفسه، قليل الجرأة في الكلام والتعبير عن رأيه.

ومما يدخل في ذلك: قلة العناية بتربيتهم على تحمل المسئولية، وعدم إعطائهم فرصة للتصحيح إذا أخطئوا.

ومن ذلك: قلة المراعاة لتقدير مراحل العمر التي يمر بها الولد؛ فتجد من الوالدين من يعامل ولده على أنه طفل صغير؛ مع أنه قد كبر، فهذه المعاملة تؤثر في شعور الولد، وتشعره بالنقص.

ومما يجرحُ مشاعرَ الولد: دخولُ والده في كل صغيرة وكبيرة من أمره إذا تزوج؛ فتجد من الوالدين من يفرض وصاية عامة، ويضع سياجًا محكمًا على أولاده، حتى بعد أن يتزوجوا؛ فتراه يدخل في شئونهم الخاصة، وربما أتى بيوتهم على غرة، وربما فرض عليهم آراءه التي قد تكون مجانبة للصواب.

كل ذلك من الخلل في التربية، ومما يورث الخوف والتردد، والهزيمة لدى الأولاد.

الوسائل المعينة على مراعاة الجوانب التربوية المهمة:

يجب على الوالد أن يراعي تلك الجوانب في التربية، ومما يعينه عليه أمور منها:

١- تنمية الجرأة الأدبية في نفس الولد، وذلك بإشعاره بقيمته، وزرع الثقة في نفسه؛ حتى يعيش كريمًا شجاعًا صريحًا جريئًا في آرائه، في حدود الأدب واللياقة، بعيدًا عن الإسفاف والصفاقة؛ فهذا مما يشعره بالطمأنينة، ويكسبه القوة والاعتبار، بدلاً من التردد، والخوف، والهوان،

والذلة والصغار.

٢- استشارة الأولاد: كاستشارتهم ببعض الأمور المتعلقة بالمنزل أو غير ذلك، واستخراج ما لديهم من أفكار؛ كأخذ رأيهم في أثاث المنزل، أو لون السيارة التي سيشتريها الأب، أو أخذ رأيهم في مكان الرحلة أو موعدها، ثم يوازن الوالد بين آرائهم، ويطلب من كل واحد منهم أن يبدي مسوغاته، وأسباب اختياره لهذا الرأي، وهكذا.

ومن ذلك إعطاؤهم الحرية في اختيار حقائبهم، أو دفاترهم، أو ما شاكل ذلك؛ فإن كان ثم محذور شرعي فيما يختارونه بيَّنه لهم.

فكم في هذا العمل من زرع للثقة في نفوس الأولاد، وكم فيه من إشعار لهم بقيمتهم، وكم فيه من تدريب لهم على تحريك أذهانهم، وشحذ قرائحهم، وكم فيه من تعويد لهم على التعبير عن آرائهم.

٣- تعويد الولد على القيام ببعض المسئوليات؛ كالإشراف على الأسرة في حالة غياب ولي الأمر، وكتعويده على الصرف، والاستقلالية المالية، وذلك بمنحه مصروفًا ماليًا كل شهر أو أسبوع؛ ليقوم بالصرف منه على نفسه وبيته.

٤- تعويد الأولاد على المشاركة الاجتماعية؛ وذلك بحثهم على المساهمة في خدمة دينهم وإخوانهم المسلمين إما بالدعوة إلى الله، أو إغاثة الملهوفين، أو مساعدة الفقراء والمحتاجين، أو التعاون مع جمعيات البر، وغيرها.

٥- التدريب على اتخاذ القرار؛ كأن يعمد الأب إلى وضع الابن في مواضع التنفيذ، وفي المواقف المحرجة، التي تحتاج إلى حَسْم الأمر، والمبادرة في اتخاذ القرار، وتحمُّل ما يترتب عليه، فإن أصاب شجَّعه وشد على يده، وإن أخطأ قوَّمه وسدده بلطف؛ فهذا مما يعوده على مواجهة الحياة، وحسن التعامل مع المواقف المحرجة.

٦- فهم طبائع الأولاد ونفسياتهم؛ وهذه المسألة تحتاج إلى شيء من الذوق، وسبر الحال، ودقة النظر.

وإذا وُفق المربي لتلك الأمور، وعامل أولاده بذلك المقتضى، كان حريًا بأن يحسن تربيتهم، وأن يسير بهم على الطريقة المثلى.

٧- تقدير مراحل العمر للأولاد؛ فالولد يكبر، وينمو تفكيره، فلا بد أن تكون معاملته ملائمة لسنه وتفكيره واستعداده، وألا يعامل على أنه صغير دائمًا، ولا يعامل أيضًا وهو صغير على أنه كبير؛ فيطالب بما يطالب به الكبار، ويعاتب كما يعاتبون، ويعاقب كما يعاقبون.

٨- تلافي مواجهة الأولاد مباشرة، وذلك قدر المستطاع خصوصًا في مرحلة المراهقة، بل ينبغي أن يقادوا عبر الإقناع، والمناقشة الحرة، والحوار الهادئ البناء الذي يجمع بين العقل والعاطفة.

٩- الجلوس مع الأولاد؛ فمما ينبغي للأب- مهما كان له من شغل- أن يخصص وقتًا يجلس فيه مع أولاد يؤنسهم فيه ويسليهم ويعلمهم ما يحتاجون إليه، ويقص عليهم القصص الهادفة؛ لأن اقتراب الولد من أبويه ضروري جدًا، وله آثاره الواضحة، فهذا أمر مجرب، فالآباء الذين يقتربون من أولادهم، ويجلسون معهم ويمازحونهم- يجدون ثمار ذلك في أولادهم، حيث تستقر أحوال الأولاد، وتهدأ نفوسهم، وتستقيم طباعهم.

أما الآباء الذين تشغلهم الدنيا عن أولادهم- فإنهم يجدون غبَّ ذلك على الأولاد، فينشأ الأولاد وقد اسودت الدنيا أمامهم، لا يعرفون مواجهة الحياة، فيتنكبون الصراط، ويحيدون عن جادة الصواب، وربما تسبب ذلك في كراهية الأولاد للوالدين، وربما قادهم ذلك إلى الهروب من المنزل، والانحدار في هاوية الفساد.

ثم إن الوالد إذا كبر سنه، وكثر فراغه، وأراد أن يجلس مع أولاده لم يتمكن من ذلك؛ لأنه لم يعتد ذلك، ولم يعودهم عليه، وهذا أمر مجرب، فيحرمهم من جلوسه معهم صغارًا، ويُحرم من جلوسهم معه كبارًا.

١٠- العدل بين الأولاد؛ فما قامت السماوات والأرض إلا بالعدل، ولا يمكن أن تستقيم أحوال الناس إلا بالعدل؛ فمما يجب على الوالدين تجاه أولادهم أن يعدلوا بينهم، وأن يتجنبوا تفضيل بعضهم على بعض، سواء في الأمور المادية كالعطايا والهدايا والهبات، أو الأمور المعنوية، كالعطف والحنان وغير ذلك.

والله تعالى من وراء القصد.

الأسرة المسلمة إيمان وأخلاق

الحلقة الثالثة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:
تحدثنا في الحلقة الماضية عن تيسير الزواج، وأن شأنه في الإسلام ألطف وأرأف مما عليه حال الناس اليوم، وكذلك عن حسن الاختيار. وهذه المرة يكون حديثنا بعون الله تعالى عن تيسير المهور وعدم المغالاة فيها، وبداية وقبل الدخول في ذلك مباشرة نذكر بالصدق والمصارحة بين الطرفين حتى يكون كل طرف على بينة من أمره، ولأن ذلك مدعاة للوفاق والبعد عن الشقاق بعد ذلك.

إعداد/ جمال عبد الرحمن

أولاً: يحدث كثيرًا عند الخطبة أن يحاول كل طرف أن يزين قوله وفعله وهيئته للطرف الآخر، فتجد أحدهم يبالغ في مظهره، أو في تدينه، ويدعي أنه حريص على طلب العلم، وأنه يحب القرآن ويتمنى أن يحفظه، ويريد حفظ السنة، وواقعه العملي بعيد عن ذلك تمامًا، والواجب هنا الصدق والمصارحة فإن الرجل لا يزال يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صدِّيقا.
قَالَ ابْنُ طَاوُس: قُلْتُ لأَبي: «أريدُ أَنْ أَتَزَوَّجَ فلانَةَ. قَالَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا. قَالَ: فَذَهَبْتُ فَلَبِسْتُ مِنْ صَالحِ ثِيَابِي وَغَسَلْتُ رَأْسِي، وَأَتَيْتُ فَلَمَّا رَآنِي فِي تِلْكَ الْهَيْئَةِ قَالَ: اقْعُدْ لا تَذْهَبْ». حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٠/٤).
فمنعه أبوه لما وجده يتقمص شخصية ومظهرًا لم يعتده من قبل؛ فعد ذلك غشا وتدليسًا.
ولما خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة رضي الله عنها صارحته بأحوالها: عن أم سلمة، قالت: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: «من أصابته مصيبة فليقل: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»، اللهمَّ! عندك أحتسب مصيبتي، فأجرني فيها، وأبدلني بها خيرًا منها». فلما مات أبو سلمة قلتها، فجعلت كلما بلغت: «أبدلني خيرًا منها» قلت في نفسي: ومَن خيرٌ من أبي سلمة؟! فلما انقضت عدتها بعث إليها أبو بكر يخطبها، فلم تزوجه، ثمَّ بعث إليها عمرُ (يخطبها) فلم تزوجه، ثمَّ بعث إليها رسول الله- صلى الله عليه وسلم- عمر بن الخطاب يخطبها عليه، قالت: أخبر رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أني امرأة غَيْرَى (شديدة الغيرة من ضرائرها)، وأني امرأة مُصْبية (لها صبية صغار)، وليس أحد من أوليائي شاهدًا، فأتى رسولَ الله- صلى الله عليه وسلم- فذكر ذلك له، فقال: «ارجع إليها فقل لها: أما قولك: إني امرأة غيرى؛ فأسأل الله أن يذهب غيرتك، وأمَّا قولك: إني امرأة مصبية؛ فتكفين صبيانك، وأما قولك: إنّه ليس أحدٌ من أوليائي شاهدًا؛ فليس من أوليائك شاهد ولا غائب يكره ذلك». فقالت لابنها: يا عمر! قم فزوج رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، فزوجه. أخرجه أحمد وابن حبان وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٩٣).
وقال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاس: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم خَطَبَ امْرَأَةً مِنْ قَوْمِهِ يُقَالُ لَهَا: سَوْدَةُ، وَكَانَتْ مُصْبِيَةً، كَانَ لَهَا خَمْسَةُ صِبْيَةٍ أَوْ

ستَّةٌ، مِنْ بَعْلٍ لَهَا مَاتَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَا يَمْنَعُكِ مِنِّي؟» قَالَتْ: وَاللَّهِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَا يَمْنَعُنِي مِنْكَ أَنْ لاَ تَكُونَ أَحَبَّ الْبَرِيَّةِ إِلَيَّ، وَلَكِنِّي أُكْرِمُكَ أَنْ يَضْغُوَ (يصيح) هَؤُلاَءِ الصِّبْيَةُ عِنْدَ رَأْسِكَ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً. قَالَ: «فَهَلْ مَنَعَكِ مِنِّي شَيْءٌ غَيْرُ ذَلِكَ؟» قَالَتْ: لاَ وَاللَّهِ. قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «يَرْحَمُكِ اللَّهُ، إِنَّ خَيْرَ نِسَاءٍ رَكِبْنَ أَعْجَازَ الإِبِلِ صَالِحُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ، أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرٍ، وَأَرْعَاهُ عَلَى بَعْلٍ بِذَاتِ يَدٍ». مسند أحمد ح ٢٩٢٣. وإسناده حسن.

قال المحقق شعيب الأرناءوط: وله شاهد من حديث أبي هريرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب أم هانئ بنت أبي طالب، فقالت: يا رسول الله، إني قد كَبِرْتُ ولي عيال، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «خيرُ نساءٍ ركبْنَ نساءُ قريش، أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يد». أخرجه أحمد ٢٦٢/٢، ومسلم (٢٥٢٧) (٢٠١).

وسودة هذه: غير سودة بنت زمعة أم المؤمنين، لم يُعرف نسبها، وقد ترجمها الحافظ في «الإصابة» ٧٢٢/٧ باسم: سودة القرشية، وأشار إلى هذا الحديث.

قوله: «وكانت مُصبية»، قال السندي: بضم الميم، أي: ذات صبيان، من أصبَتِ المرأة، وقولها: «أن يَضْغُوَ»، إذا صاح. تعني أن الأولاد بصياحهم يزعجون النبي صلى الله عليه وسلم صباح مساء.

وقوله: «أحناه على ولد في صغر» أي: أعطفه، قال النووي في «شرح مسلم» ٨٠/١٦: والحانية على ولدها: التي تقوم عليهم بعد يُتمهم، فلا تتزوج، فإن تزوجت فليست بحانية... وقال النووي: فيه فضل الحَنُوِّ على الأولاد، والشفقة عليهم، وحسن تربيتهم، والقيام عليهم إذا كانوا يتامى ونحو ذلك، ومراعاة حقِّ الزوج في ماله بحفظه، والأمانة فيه، وحسن تدبيره في النفقة وغيرها.

- والمهم هنا ما هي حدود تلك المصارحة؟

وسبب هذا السؤال والدافع إليه: أن من المفاهيم السائدة عند كثير من الشباب أن مخطوبته يجب أن تخبره هل هي خطبت قبل ذلك أم لا، ومن الذي خطبها، ولماذا تركها، وفي هذه الحالة إما أن تكذب عليه أو تفضح نفسها أو تفضح غيرها، بل يصل الأمر أحيانًا إلى أن يسأل أحدهم مخطوبته: هل كان لها سابق كلام أو علاقات مع الشباب، وتلك كلها من الأوبئة التي أصابت عقول الجهلاء. وكل هذه ليست مجالاً للمصارحة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة».

أخرج الترمذي (٢٠٣٣) بسند حسن من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يا معشر من آمن بلسانه، ولم يفض الإيمان إلى قلبه: لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورات المسلمين، تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته فيفضحه ولو في جوف رحله».

فكن صادقا أيها الخاطب مع خطيبتك والتزم الصدق والحقيقة، مع التزام حدود الستر وحسن الظن.

ثانياً: المستحب في المهر تيسيره وعدم المغالاة فيه اتباعًا لهدي النبي صلى الله عليه وسلم وكلما كان الصداق يسيرًا كان ذلك سببًا لحصول البركة واليسر في أمر الزواج.

خفة المهر وتيسيره:

فإذا تمت الخطبة وكان الاتفاق على المهر ولوازمه وتوابعه فليكن الرفق والتخفيف والتيسير سيد الموقف، ولا تكلف نفس إلا ما آتاها الله عز وجل. وسيجعل الله بعد عسر يسرا، وإن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله. قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾. (النور: ٣٢).

وغلاء المهور قصم للظهور؛ فينبغي للمرأة أن تكون يسيرة المهر، فقد فرض الشارع المهر للزوجة منحة تقدير تحفظ عليها حياءها، وتعبيراً عن إكرام الزوج لها ورغبته فيها، إلا أنه- من جانب آخر- حث على يسره وخفته.

أ- عن عقبة بن عامر- رضي الله عنه- أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: «خير النكاح أيسره».

ب- عن عائشة – رضي الله عنها – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «إن من يمن المرأة تيسير خطبتها، وتيسير صداقها، وتيسير

رحمها»، قال عروة: يعني تيسير رحمها للولادة.
جـ- عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- أن النبي- صلى الله عليه وسلم- رأى على عبد الرحمن بن عوف أثر صفرة، فقال: ما هذا؟ قال: يا رسول الله إني تزوجت امرأة من الأنصار، قال: كم سقت إليها؟

قال: زنة نواة من ذهب، قال: بارك الله لك، أولم ولو بشاة، وفي رواية البيهقي: (على وزن نواة من ذهب، قومت خمسة دراهم.

و- عن أبي العجفاء السلمي قال: خطبنا عمر يوماً، فقال: ألا لا تغالوا في صدقات النساء، فإن ذلك لو كان مكرمة في الدنيا وتقوى عند الله، كان أولاكم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما أصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة من نسائه، ولا أصدقت امرأة من بناته أكثر من اثنتي عشرة أوقية.

ز- عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: سألت عائشة- رضي الله عنها-: كم كان صداق رسول الله- صلى الله عليه وسلم؟ قالت: كان صداقه لأزواجه اثنتي عشرة أوقية ونشا، قالت: أتدري ما النش؟ قلت: لا، قالت: نصف أوقية، فذلك خمسمائة درهم.

ح- عن عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما- قال: لما تزوج علي بفاطمة- رضي الله عنهما- وأراد أن يدخل بها، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعطها شيئاً » قال: ما عندي شيء، قال: « أين درعك الحُطَمية؟ » فأعطاها درعه.

أغلى وأعلى المهور

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: خَطَبَ أَبُو طَلْحَةَ أُمَّ سُلَيْمٍ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ، فَقَالَتْ: «أَمَا إِنِّي فِيكَ لَرَاغِبَةٌ، وَمَا مِثْلُكَ يُرَدُّ، وَلَكِنَّكَ رَجُلٌ كَافِرٌ، وَأَنَا امْرَأَةٌ مُسْلِمَةٌ، فَإِنْ تُسْلِمْ فَذَلِكَ مَهْرِي، لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ»، فَأَسْلَمَ أَبُو طَلْحَةَ وَتَزَوَّجَهَا. مصنف عبد الرزاق الصنعاني (١٧٩/٦).

المسرفون في جهاز العروسين

قَالَ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْمُرْنَا فِيمَا رَزَقَنَا أَنْ نَكْسُوَ الْحِجَارَةَ وَاللَّبِنَ». صحيح مسلم.
تدرون متى قال الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الحديث؟

عَنْ أَبِي طَلْحَةَ الأَنْصَارِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «لاَ تَدْخُلُ الْمَلاَئِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ، وَلاَ تَمَاثِيلُ»، وَقَالَ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ نَسْأَلُهَا عَنْ ذَلِكَ، فَانْطَلَقْنَا، فَقُلْنَا: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ أَبَا طَلْحَةَ حَدَّثَنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِكَذَا، وَكَذَا، فَهَلْ سَمِعْتِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَذْكُرُ ذَلِكَ؟ قَالَتْ: لاَ، وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكُمْ بِمَا رَأَيْتُهُ فَعَلَ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ، وَكُنْتُ أَتَحَيَّنُ قُفُولَهُ، فَأَخَذْتُ نَمَطًا سِتْرًا كَانَ لَنَا، فَسَتَرْتُهُ عَلَى الْعَرَضِ، فَلَمَّا جَاءَ اسْتَقْبَلْتُهُ، فَقُلْتُ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعَزَّكَ وَأَكْرَمَكَ، فَنَظَرَ إِلَى الْبَيْتِ فَرَأَى النَّمَطَ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ شَيْئًا، وَرَأَيْتُ الْكَرَاهِيَةَ فِي وَجْهِهِ، فَأَتَى النَّمَطَ حَتَّى هَتَكَهُ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْمُرْنَا فِيمَا رَزَقَنَا أَنْ نَكْسُوَ الْحِجَارَةَ وَاللَّبِنَ» قَالَتْ: فَقَطَعْتُهُ وَجَعَلْتُهُ وِسَادَتَيْنِ، وَحَشَوْتُهُمَا لِيفًا، فَلَمْ يُنْكِرْ ذَلِكَ عَلَيَّ. صحيح مسلم وسنن أبي داود (٧٣/٤) واللفظ له.

وقد سار السلف رضوان الله عليهم على ذلك، فعن ابن جُرَيْج قَالَ: حُدِّثْتُ: أَنَّ سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ تَزَوَّجَ امْرَأَةً، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا وَقَفَ عَلَى بَابِهَا، فَإِذَا هُوَ بِالْبَيْتِ مَسْتُورٌ، فَقَالَ: مَا أَدْرِي أَمَحْمُومٌ بَيْتُكُمْ؟ أَمْ تَحَوَّلَتِ الْكَعْبَةُ فِي كِنْدَةَ؟ وَاللَّهِ لاَ أَدْخُلُهُ حَتَّى تُهَتَّكَ أَسْتَارُهُ، فَلَمَّا هَتَكُوهَا فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا شَيْءٌ، دَخَلَ فَرَأَى مَتَاعًا كَثِيرًا وَجَوَارِيَ، فَقَالَ: مَا هَذَا الْمَتَاعُ؟ قَالُوا: مَتَاعُ امْرَأَتِكَ وَجَوَارِيهَا قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَمَرَنِي حِبِّي بِهَذَا، أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَ مِثْلَ أَثَاثِ الْمُسَافِرِ، وَقَالَ لِي: «مَنْ أَمْسَكَ مِنَ الْجَوَارِي فَضْلاً عَمَّا نَكَحَ أَوْ يُنْكِحُ، ثُمَّ بَغَيْنَ، فَإِثْمُهُنَّ عَلَيْهِ»، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى أَهْلِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهَا، وَقَالَ لِمَنْ عِنْدَهَا: ارْتَفِعْنَ، فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ امْرَأَتُهُ، فَقَالَ: هَلْ أَنْتِ مُطِيعَتِي رَحِمَكِ اللَّهُ؟ قَالَتْ: قَدْ جَلَسْتَ مَجْلِسَ مَنْ يُطَاعُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ لِي: «إِنْ تَزَوَّجْتَ يَوْمًا فَلْيَكُنْ أَوَّلُ مَا تَلْتَقِيَانِ عَلَيْهِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ»، فَقُومِي فَلْنُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ، فَمَا سَمِعْتِنِي أَدْعُو بِهِ فَأَمِّنِي، فَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ، وَأَمَّنَتْ فَبَاتَ عِنْدَهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَهُ أَصْحَابُهُ، فَلَمَّا انْتَحَاهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقَالَ: كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ الثَّانِي، ثُمَّ الثَّالِثُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ صَرَفَ وَجْهَهُ إِلَى الْقَوْمِ، وَقَالَ: رَحِمَكُمُ اللَّهُ، فِيمَا الْمَسْأَلَةُ عَمَّا غُيِّبَتِ الْجُدُرَاتُ، وَالْحُجُبُ، وَالأَسْتَارُ، بِحَسْبِ امْرِئٍ أَنْ يَسْأَلَ عَمَّا ظَهَرَ إِنْ أُخْبِرَ، أَوْ لَمْ يُخْبَرْ». مصنف عبد الرزاق الصنعاني (١٩٢/٦).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.



تحذير الداعية
من القصص الواهية
الحلقة (١٩٧)

قصة بكاء جابر على خروج الناس من الدين أفواجًا

إعداد/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي يتخذها العلمانيون وسيلة للهجوم على ثوابت الدين، وأن الناس يخرجون منه أفواجًا، خاصة وأن هذه القصة ذُكرت في كتب السنة الأصلية، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

أولاً: المتن:

رُوي عن أبي عمار قال: حدثني جار لجابر بن عبد الله قال: قدمت من سفر فجاءني جابر بن عبد الله يسلم عليَّ، فجعلت أحدثه عن افتراق الناس، وما أحدثوا، فجعل جابر يبكي، ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الناس دخلوا في دين الله أفواجًا وسيخرجون منه أفواجًا».

ثانيًا: التخريج:

هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/٣٤٣) (ح١٤٧٣٧) قال: «حدثنا معاوية بن عمرو، حدثنا أبو إسحاق، عن الأوزاعي، حدثني أبو عمار حدثني جار لجابر بن عبد الله قال: قدمت من سفر..» القصة.

ثالثًا: التحقيق:

١- هذه القصة واهية وعلتها: أن فيها راويًا لم يسمَّ؛ حيث قال أبو عمار (وهو شداد بن عبد الله الأموي مولى معاوية بن أبي سفيان) حدثني جار لجابر بن عبد الله.

٢- وشداد أبو عمار: لم يرو عن جابر كما بين ذلك الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٨/٢٩٥/٢٦٩٠) في ذكره للرواة الذين روى عنهم أبو عمار، وكذلك فيما بينه الإمام الحافظ المزي في الرواة الذين رووا عن الصحابي الجليل جابر بن عبد الله في «تهذيب الكمال» (٣/٢٩١/٨٥٦).

٣- وبهذا يتبين أن هذا الخبر الذي جاءت به القصة لم يروه عن جابر بن عبد الله إلا جاره الذي لم يسمَّ.

٤- وبذلك يصبح هذا الحديث من نوع المبهم، حيث قال البيقوني في «منظومته» (١٣): «ومبهم ما فيه راوٍ لم يُسَمَّ». اهـ.

٥- قلت: وحكم روايته بينه الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٤٩): «لا يقبل حديث المبهم ما لم يسم».

٦- ثم بين الحافظ سبب رد روايته وعدم قبولها فقال: «لأن شرط قبول الخبر عدالة راويه، ومن أبهم اسمه لا تعرف عينه، فكيف تعرف عدالته». اهـ.

٧- لذلك ضعف الألباني رحمه الله هذا الخبر في «الضعيفة» (ح٣١٥٣) وقال: «جار جابر لا يُعرف». اهـ.

قلت: ولقد فصلنا هذا الإجمال من الشيخ رحمه الله حتى يستطيع طالب العلم أن يقف على نوع هذا الخبر، وتعريفه، وحكم روايته تحقيقًا لأهداف هذه السلسلة، والتي قد بيناها منذ أكثر من ستة عشر عامًا كما في عددي شعبان، وذي الحجة ١٤٢١هـ، ونذكر بهذه الأهداف حتى يتبين المنهج:

١- أن يقف القارئ الكريم على درجة القصة، وحسبه هذا القدر.

٢- والداعية يكون على حذر ويسلم له عمله على السنة وحدها، ويعرف مواضع هذه القصة في الكتب التي أخرجتها والكتب التي أوردتها فلا يغتر لوجودها.

٣- وطالب هذا الفن: يجد نماذج من علم الحديث التطبيقي.

رابعًا: انتشار القصة في التفاسير:

هذا الخبر الذي جاءت به قصة «بكاء جابر على خروج الناس من دين الله أفواجًا» انتشر في كتب التفاسير خاصة المشهور منها وكذلك غير المشهور، وعلى سبيل المثال لا الحصر:

١- أورد الإمام الحافظ ابن كثير هذا الخبر في تفسيره المسمى «تفسير القرآن العظيم» لسورة النصر، وعزا الحديث الذي جاءت به القصة للإمام أحمد مع ذكر سنده وسكت عنه خاتمًا به تفسير السورة.

٢- وأورده الصابوني في مختصره «مختصر ابن كثير» (٦٨٨/٢)؛ وإن تعجب فعجب كيف أورد هذا الخبر المنكر والذي لم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم كما بينا آنفًا مع أنه اشترط في مقدمة هذا المختصر حذف الأحاديث الضعيفة حيث قال: «الاقتصار على الأحاديث الصحيحة وحذف الضعيف منها». اهـ.

قلت: لقد غرَّ الصابوني- عفا الله عنا وعنه- سكوت الإمام الحافظ ابن كثير وعدم تعقيبه على الخبر الذي جاءت به القصة فتوهم أنه صحيح فأورده في «مختصر ابن كثير»، ولقد وقع في هذا الوهم كثيرًا حتى في الأخبار التي يعلم مَن الحديثُ صناعته أنها شديدة الضعف، وعلى سبيل المثال لا الحصر قصة «ثعلبة بن حاطب» التي أوردها في اختصاره هذا عند تفسير الآية (التوبة: ٧٥)، مع أن الإمام الحافظ ابن كثير ذكر الخبر الذي جاءت به القصة بسنده عن ابن جرير وسكت عنه.

٣- قاعدة غفل عنها كثير ممن لا دراية لهم بالصناعة الحديثية، إذا أخرج المفسر في تفسيره الخبر بسنده كتفسير شيخ المفسرين ابن جرير الطبري أو نقله عنه مفسر كابن كثير وسكت عنه الطبري أو ابن كثير فهذا لا يعني الصحة كما توهم الصابوني ولكن القاعدة: «من أسند فقال أحال».

قلت: أي قد أحالك للبحث العلمي الدقيق كما تقتضيه الصناعة الحديثية حتى تخرج العلة كما هو مبين في تخريج وتحقيق هذه القصة.

٤- ومن التفاسير المشهورة التي أوردت هذا الخبر الذي جاءت به القصة تفسير القرطبي المسمى «الجامع لأحكام القرآن» (٤٥٤/١٠) عند تفسير سورة النصر قال:

أ- وروى جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الناس دخلوا في دين الله أفواجًا وسيخرجون منه أفواجًا». ثم قال: «ذكره الماوردي». اهـ.

قلت: انظر إلى الإمام القرطبي عفا الله عنا وعنه ذكر الحديث بصيغة الجزم: «رَوَى جابر» ولم يذكره بصيغة التمريض: «رُوِيَ عن جابر» كما هو معلوم عند أهل الصنعة الحديثية ومبين في «تدريب الراوي» (٢٩٧/١) وكذلك في «المجموع» (١٠٤/١) للإمام النووي.

قلت: أما قول الإمام القرطبي بعقب الحديث: «ذكره الماوردي». اهـ. فالماوردي: هو أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي المتوفى سنة (٤٥٠هـ)، وبالبحث في قول الإمام القرطبي: «ذكره الماوردي» ظننت أن الماوردي ذكر الخبر بسنده، ولكن بالرجوع إلى تفسير الماوردي المسمى «النكت والعيون» (٣٦٠/٦) وجدناه لم يذكر له سندًا ورواه بصيغة الجزم كما نقله عنه القرطبي حيث قال الماوردي: «ورَوَى جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الناس دخلوا في دين الله أفواجًا وسيخرجون أفواجًا». اهـ.

ب- ثم قال الإمام القرطبي في «تفسيره»: ولفظ الثعلبي: وقال أبو عمار: حدثني جابر لجابر قال: سألني جابر عن حال الناس، فأخبرته عن حال اختلافهم وفرقتهم فجعل يبكي ويقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول.. الحديث.

قلت: انظر إلى التصحيف الذي وقع في «تفسير القرطبي» (٤٥٤/١٠)، طبعة دار الحديث بالقاهرة، حيث إن في السند حدثني أبو عمار حدثني جار لجابر، صُحف حدثني أبو عمار حدثني جابر لجابر، سألني جابر.

قلتُ: يحسب من لا دراية له بالصناعة الحديثية أن هذا أمر هين حيث يتوهم أن لا فرق بين «جار لجابر» و«جابر لجابر» إلا زيادة باء، ولا يدري أن هذا التصحيف أضاع العلة التي من أجلها سقط الخبر وجعلته من المردود من نوع المبهم كما بينا آنفًا.

والعجب أن يكتب على غلاف تفسير القرطبي لهذه الطبعة: راجعه وضبطه وعلقه الدكتور.. أستاذ أصول الفقه، وخرج أحاديثه الدكتور.. مدرس أصول الفقه، ولكن لا يهمنا ذكر اسميهما بقدر ما يهمنا مراجعة النص وضبطه وتخريج الحديث وتحقيقه، خاصة أن الخبر منسوب للنبي صلى الله عليه وسلم.

فالدكتور الأول المتخصص بالمراجعة والضبط للتفسير لم يرجع إلى تفسير الثعلبي الذي نقل منه القرطبي حتى يتحقق له الضبط.

والدكتور الثاني المتخصص بتخريج الأحاديث لم يخرِّج هذا الحديث الذي عزاه الإمام القرطبي للإمام الثعلبي، والى الدكتور- عفا الله

عني وعنهما- تخريج الخبر الذي يستبين هذا التصحيف، وتستبين العلة:

٥- فالخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية «قصة بكاء جابر على خروج الناس من دين الله أفواجًا» أخرجه العلامة أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الثعلبي المتوفى سنة ٤٢٧هـ في تفسيره المسمى «الكشف والبيان» (٣٢٠/١٠) قال: أخبرني ابن فنجويه، قال: حدثنا ابن شيبة، قال: حدثنا محمد بن مصفر، قال: حدثنا بقية بن الوليد، قال: حدثنا الأوزاعي، قال: حدثنا شداد أبو عمار، قال: حدثني جار لجابر قال: غدا جابر ليسلم عليَّ فجعل يسألني عن حال الناس فجعلت أخبره نحوا مما رأيت من اختلافهم وفرقتهم فجعل يبكي ويقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الناس دخلوا في دين الله أفواجًا، وسيخرجون منه أفواجًا». اهـ.

قلت: فأين المراجعة والضبط، بل وأين التخريج والتحقيق لتفسير الإمام القرطبي، وأردت أن أتحقق من مراجعة وضبط وتخريج أحاديث تفسير القرطبي للدكتورين أستاذي أصول الفقه فنظرت في تفسير الآية (٧٥) من تفسير القرطبي (٥٣٤/٤- ط دار الحديث القاهرة) فوجدت قصة «ثعلبة بن حاطب»، وهي عارية من التخريج والتحقيق، هذه القصة التي هي بأشد الحاجة إلى التخريج والتحقيق لاشتهارها وانتشارها على ألسنة القصاص والوعاظ، تلك القصة التي حققناها في أكثر من مائتي سطر في هذه السلسلة «تحذير الداعية من القصص الواهية»، وبينا أنها واهية بجميع طرقها.

٦- وهذه القصة أخرجها الإمام أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي المتوفى سنة ٣٨٧هـ في كتابه «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة» (٨١/١) (ح١٣٧) قال: حدثنا أبو علي محمد بن أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا بشر بن موسى، قال: حدثنا معاوية بن عمرو به.

قلت: وقد بينا آنفًا أن خبر القصة أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في «مسنده» قال: حدثنا معاوية بن عمرو.. الحديث.

قلتُ: وبهذا يكون الإمام ابن بطة خرج الحديث من طريق التقى فيه مع شيخ الإمام أحمد.

قلتُ: وهذه أساس صناعة المستخرجات: حيث قال الإمام السيوطي في «التدريب» (١١٢/١): «وموضوع المستخرج كما قال العراقي: أن يأتي المصنِّف إلى الكتاب فيخرِّج أحاديثه بأسانيد لنفسه من غير طريق صاحب الكتاب، يجتمع معه في شيخه أو من فوقه».

قلتُ: ولقد خرَّج ابن بطة حديث القصة بسند لنفسه من غير طريق أحمد فاجتمع معه في شيخه معاوية بن عمرو.

ولذلك قال السخاوي في «فتح المغيث» (٩٧/١): «ثم إن أصحاب المستخرجات غير منفردين بصنيعهم بل أكثر المخرجين للمشيخات والمعاجم وكذا الأبواب يوردون الأحاديث بأسانيدهم ثم يصرحون بعد انتهاء سياقه غالبًا بعزوه إلى البخاري ومسلم أو إليهما معًا مع اختلاف الألفاظ وغيرها يريدون أصله».

قلتُ: نستنتج من تخريج ابن بطة في «الإبانة» والثعلبي في «تفسيره» «الكشف والبيان» والإمام أحمد في «المسند» أن الخبر الذي جاءت به هذه القصة غريب عن جابر بن عبد الله، لم يروه عنه إلا جار له لم يسم، فالحديث مبهم والخبر الذي جاءت به القصة لا يصح والقصة واهية.

خامسًا: طريق آخر للحديث المرفوع:

١- أخرجه الإمام الحافظ عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي المتوفى سنة (٢٥٥هـ) في كتابه «السنن» (٥٤/١) (ح٩٠) قال: عَنْ أَبِي قُرَّةَ، مَوْلَى أَبِي جَهْلٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ هَذِهِ السُّورَةَ لَمَّا أُنْزِلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا﴾ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «لَيَخْرُجُنَّ مِنْهُ أَفْوَاجًا كَمَا دَخَلُوهُ أَفْوَاجًا». اهـ.

٢- ومن طريق شيخ شيخه عبد الرحمن بن شريح أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤٩٦/٤) قال: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا الربيع بن سليمان، حدثنا عبد الله بن وهب، حدثني أبو شريح عبد الرحمن بن شريح به، ثم قال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

سادسًا: الاغترار بتصحيح الحاكم:

قد يغتر من لا دراية له بالصناعة الحديثية بقول الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»؛ فبالاستقراء والتحقيق وجدناه لتساهله قال هذه العبارة في أحاديث لا تصح بل في أحاديث من الكذب المختلق المصنوع المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهو ما يسمى بالموضوع، وعلى سبيل المثال لا

الحصر ما أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٦١٧/٢) في قصة لقاء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مع إلياس، وأن طوله أكثر من ثلاثة مائة ذراع، وأنه يأكل في كل سنة يومًا، وكان يوم اللقاء يوم فطره فنزلت عليهما مائدة من السماء حتى قال أنس: فأكلا وأطعماني، وصلينا العصر وودعه، ثم رأيته على السحاب نحو السماء.. اهـ.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

فتعقبه الإمام الذهبي في «التلخيص» فقال: «بل موضوع قبح الله من وضعه، وما كنت أحسب ولا أجوز أن الجهل يبلغ بالحاكم إلى أن يصحح هذا الإسناد». اهـ.

سابعًا: تحقيق هذا الطريق:

١- التصحيف: فالسند عند الحاكم والدارمي فيه تصحيف حيث جاء: «عن أبي الأسود القرشي، عن أبي فروة مولى أبي جهل، عن أبي هريرة مرفوعًا».

قلت: هذا التصحيف بينه الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢١١٥/٤٢٨/٩) قال: «أبو قرة مولى ابن أبي جهل، روى عن أبي هريرة، وروى عنه أبو الأسود محمد بن عبد الرحيم يتيم عروة، سمعت أبي يقول ذلك». اهـ.

٢- قلت: مما ذكره الإمام الحافظ ابن أبي حاتم يتبين أن «أبا قرة مولى ابن أبي جهل» صحف عند الحاكم والدارمي إلى «أبي فروة مولى أبي جهل»، وهذا التصحيف يجعل الباحث لا يقف على ترجمة لما يسمى بأبي فروة مولى أبي جهل.

وبعد أن تبين التصحيف ظهرت علة الحديث.

٢- أبو قرة مولى ابن أبي جهل: قد تبين من قول الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» أنه لم يرو عنه إلا راو واحد هو أبو الأسود، وقال: سمعت أبي يقول ذلك. ثم لم يوثقه أحد.

٣- إذن أبو قرة مولى ابن أبي جهل مجهول العين لا يقبل حديثه، وذلك بتطبيق حد مجهول العين عليه، حيث قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٥٠): «إن سُمي الراوي، وانفرد راوٍ واحد بالرواية عنه فهو مجهول العين».

ثم بين حكمه فقال: «هو كالمبهم، فلا يقبل حديثه إلا أن يوثقه غير من ينفرد عنه على الأصح، وكذا من ينفرد عنه إذا كان متأهلاً لذلك». اهـ أي: من أهل الجرح والتعديل، وقد تبين من قول الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» أنه لم يوثقه أحد فالخبر مردود

وبمثل هذه العلة (مجهول العين) ضعف الألباني رحمه الله حديث «المرأة التي أعطاها الكفل ستين دينارًا ليطأها»، والذي أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢٥٤/٤- ٢٥٥) وقال: «وهذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وقد أورده الألباني في «الضعيفة» (ح٤٠٨٣)، وقال: «فقول الحاكم: «صحيح الإسناد» هو من تساهله الذي اشتهر به، وإن وافقه الذهبي، فإنه من غير تحقيق منه كما هو شأنه في كثير من موفقاته». اهـ.

قلتُ: فحديث أبي هريرة في «خروج الناس من دين الله أفواجًا» حديث منكر لا يصلح أن يكون شاهدًا لحديث جابر بل يزيده وهنًا على وهن؛ لأن جهالة العين من أسباب الضعف الشديد كما هو مبين في مراتب الجرح والتعديل للحافظ ابن حجر في «مقدمة التقريب» المرتبة التاسعة وهي من مراتب الرد والترك، وليست من مراتب الاستشهاد كما بينه الحافظ في «شرح النخبة» (ص٥١). وبهذا تكون القصة واهية والحديث منكر، فحديث جابر مبهم، وحديث أبي هريرة مجهول العين، وقال الحافظ: مجهول العين كالمبهم فإبهام علي إبهام ظلمات بعضها فوق بعض.

ثامنًا: روايات صحيحة تدل على أن القصة واهية والحديث منكر:

١- فقد أخرج مسلم في «صحيحه» (٢٨٨٩)، وأبو داود في «سننه» (٤٢٥٢)، والترمذي في «سننه» (٢١٧٦)، وابن ماجه (٣٩٥٢) من حديث ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوِيَ منها».

٢- وأخرج أحمد في «مسنده» (١٠٣/٤) (ح١٦٩٩٨) من حديث تميم الداري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلا وَبَرٍ إِلاَّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ؛ عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الإِسْلامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ». وقال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٤/٦): «رجال أحمد رجال الصحيح، قلت: والحديث صحيح على شرط مسلم، وهذا على سبيل المثال لا الحصر تحقيقًا لوعد الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى: «﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾» (الصف:٩).

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

صحة المعتقد وسلامة المنهج .. كيف السبيل لتحقيقهما وجمع الأمة عليهما؟

حلقة (٢٩)

إعداد/ د. محمد عبد العليم الدسوقي

الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فعلى ضوء ما ذكرنا في (وجوب تقديم الشرع والتسليم للخبر) - لاسيما فيما يخص قضية الصفات - نستطيع القول: بأن هذا من أبرز ما يميز أهل الحق عن غيرهم، ومن أبرزه كذلك: (لزوم السنة والجماعة)، وإنما عنوا بـ"السنة: (طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم)، وبالجماعة: (جماعة المسلمين، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين)، فاتباعهم هدى وخلافهم ضلال، قال الله لنبيه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (آل عمران/٣١)، وقال: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء/١١٥)..

وقال عليه السلام - كما عند أحمد والحاكم والبيهقي من حديث معاوية -: (إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة (يعني: الأهواء)، كلها في النار إلا واحدة: وهي الجماعة، وسيخرج في أمتي أقوام تجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله)، قال معاوية بعد أن ذكره: (والله يا معشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم، لغيركم من الناس أحرى أن لا يقوم به)، وفي رواية - في صحيح الترمذي (٢٦٤١):

قالوا: وما هي يا رسول الله؟ قال: (ما أنا عليه وأصحابي)، فبين عليه السلام أن الاختلاف واقع لا محالة، وأن عامة المختلفين هالكون من الجانبين، إلا أهل السنة والجماعة.

وما أحسن قول ابن مسعود: (من كان مستناً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد، كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوباً وأعمقها علوماً وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهُدَى المستقيم)"ا.هـ من كلام ابن أبي العز شرحاً لقول الطحاوي: (ونتبع السنة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفُرقة).

١- مزيد من التعرف على من لزموا (السنة والجماعة) من بين الفرق:

وفي بيان ما سبق، يقول ابن أبي العز - إبان شرحه قولَ الطحاوي: (ونرى الجماعة حقاً وصواباً) -: "الأمور التي تتنازع فيها الأمة في الأصول والفروع، إذا لم تُرَدُّ إلى الله ورسوله، لم يُتبين فيها الحق، بل يصير فيها المتنازعون: على غير بينة من أمرهم، فإن رَحمهم الله: أقر بعضُهم بعضاً ولم يَبْغ بعضُهم على بعض، كما كان الصحابة في خلافة عمر وعثمان يتنازعون في بعض مسائل الاجتهاد، فيُقرّ بعضُهم بعضاً ولا يَعتدي ولا يُعتدى عليه، وإن لم يرحمهم: وقع بينهم الخلاف المذموم، فبغى بعضُهم على بعض إما بالقول مثل تكفيره وتفسيقه وإما بالفعل مثل حبسه وضربه وقتله، والذين امتحنوا الناس بخلق القرآن كانوا من هؤلاء"..

وفي التعرف على أنواع الخلاف وما يسوغ منه وما لا يسوغ، يخلص ابن أبي العز إلى أن الأخير منهما فيما يُعرف بـ (اختلاف التضاد)، هو: "القولان المتنافيان، إما في الأصول، وإما في الفروع عند الجمهور الذين يقولون: (المصيب واحد)، والخطب

في هذا أشد، لأن القولين يتنافيان"، وهو أيضاً: "ما حُمد فيه إحدى الطائفتين وذُمت الأخرى"، كذا بما يعني: أنَّ منهج الطائفة المحمودة من هاتين الطائفتين في باب الصفات خاصة، هو - دون سواه من مناهج الجهمية والمعتزلة، وغيرهم ممن انتفت عنهم الوسطية، وشابهوهم من المتكلمة في التعطيل والتشبيه والتحريف الناشئ عن التأويل، فغلب عليهم الهوى وتفرقت بهم السبل - الوسط "بين التشبيه والتعطيل، ذلك أن الله يحب أن يوصف بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله، من غير تشبيه فلا يقال: (سمعٌ كسمعنا وبصرٌ كبصرنا) ونحوه، ومن غير تعطيل: فلا يُنفى عنه ما وصف به نفسه أو وصفه به أعرف الناس به رسوله، فإن ذلك تعطيل"، وعليه فمن لم تتّسم من تيك الطائفتين بالوسطية على النحو السالف الذكر، هي: الطائفة المذمومة على عكس ما يُروِّج له في زماننا.

وفي شأن وجوب تقديم الشرع، وجعل ذلك أصلاً عظيماً يفترق فيه أهل السنة عن مخالفيهم من جميع الفرق، سبق أن سقنا كلام الأصبهاني وأبي المظفر السمعاني.. وفي شأنه كذلك، يقول ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٤٤٠/١٦ -: "معلوم وجوب تقديم النص على الرأي، والشرع على الهوى، فالأصل الذي افترق عليه المؤمنون بالرسل والمخالفون على حد سواء: تقديم نصوصهم على الآراء، وشرعهم على الأهواء"..

ويقول ابن القيم في إغاثة اللهفان ١٣٨/٢: "وكان السلف يُسَمُّون أهل الآراء المخالفة للسنة وما جاء به الرسول في مسائل العلم الخبرية وأهل مسائل الأحكام العملية، يسمونهم: (أهل الشبهات والأهواء)، لأن الرأي المخالف للسنة جهل لا علم، وهوى لا دين، فصاحبه ممن اتبع هواه بغير هدى من الله، وغايته الضلال في الدنيا والشقاء في الآخرة"..

ويقول الشاطبي في الاعتصام ٦٨٣/٢: "سُمي أهل البدع: (أهل الأهواء)، لأنهم اتبعوا أهواءهم فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها والتعويل عليها حتى يَصْدروا عنها، بل قدَّموا أهواءهم واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظوراً فيها من وراء ذلك"، وقال - بعد أن ساق قول عمر بن الخطاب (إياكم وأصحاب الرأي فإنهم أعداءُ السنة، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا) -: "وهذا هو دأب أهل البدع، يضعون أهواءهم أولاً، ثم يطلبون الأدلة عليها من الشرع وكلام العرب، بعكس أهل الحق، فإنهم يضعون الدليل أولاً ثم ينقادون له، فيعتقدون ويحكمون بعد ما يستدلون، وأهل الأهواء إذا وجدوا الأدلة على خلاف ما يعتقدون، أوَّلوها وحرَّفوها وصرفوها عن حقيقة معناها"..

وتلك هي مصيبة زماننا ومصدر فتنتنا ليس في باب العقائد فحسب، بل أيضاً في الأحكام المتعلقة بالأحداث التي تمر بمصرنا وبسائر أمة الإسلام.

وإذا كان التيقن بأن ما التُجأ فيه إلى التأويل قد تمحض صوابه بحيث لا يتطرق إليه باطل ولا ابتداع، يُعد جنايةً على الشريعة.. فإن المبادرة إلى التأويل دون ما تيقن كذلك ولا تثبت، يُعد هو الآخر ومن باب أولى، جنايةً على الشريعة.. وللغزالي - فيما يبدو صدوره عنه، بعد تراجعه- كلام جيد في هذا وأحكام صارمة، قد نقله عنه ابن القيم في إعلام الموقعين ٢١٤/٤، وفيه يقول: "ومن الناس من يبادر إلى التأويل ظناً لا قطعاً، فإن كان فتح هذا الباب والتصريح به يؤدي إلى تشويش قلوب العوام، بُدِّع صاحبُه"، ويقول أيضاً: "ولم تجر عادة السلف بهذه المجادلات، بل شدَّدوا القول على من يخوض في الكلام ويشتغل بالبحث والسؤال".

يقول ابن القيم معلقاً: "وقد اتفقت الأئمة الأربعة على ذم الكلام وأهله، وكلام الإمام الشافعي ومذهبه فيهم معروف عند جميع أصحابه، وهو أنهم يُضربون ويُطاف بهم في قبائلهم وعشائرهم، ويقال: (هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام).. وقال: (لأن يُبتلى العبد بكل شيء نُهي عنه غير الكفر، أيسر من أن يُبتلى بالكلام)".. نسأل الله السلامة في الدين والدنيا والآخرة، ونحمده على أن عافانا مما ابتلى به غيرنا.

٢-العمل العقلي لمتبعي طريقته عليه السلام من الصحابة وتابعيهم:

ولقائل أن يقول: فهل يعني ما ذُكر هنا، إلغاء العقل بالكلية لاسيما فيما يخص الصفات الخبرية والفعلية، وعلى ما يظنه سائر الأشاعرة، وكان الرازي - وغيره ممن تراجعوا - يدندن حوله؟؛

وجوابه:

أ-أن دلالة العقل، على إثباتها.. فالعقل يقضي

بأن الشيء قد تتعدد أدلته ويكون له أكثر من دليل، ولا يعني انتفاء أحد الأدلة انتفاء المدلول.. فإذا افترضنا جدلاً أن العقل لا يدل على هذه الصفات، فإن الشرع دل عليها، وإذا دل عليها وجب إثباتها بدلالة الشرع، لأن الشيء إذا انتفى دليله المُعيَّن قام الدليل الثاني مقامه وثبت المدلول عليه بالدليل الآخر، فإن انتفاء الدليل المعيّن لا يستلزم انتفاء المدلول.

ب- وأيضاً: فإنه "ليس في القرآن ولا في صحيح السنة صفة لله، إلا وقد دل العقل الصريح على إثباتها.. وقد نبه سبحانه على ذلك في غير ما موضع، وبين أن ما وصف به نفسه هو الكمال الذي لا يستحقه سواه، فجاحده جاحد لكلام الرب، فإنه تمدح بكل صفة وصف بها نفسه وأثنى بها على نفسه ومجد بها نفسه وحمد بها نفسه، وتعرّف بها على عباده ليعرفوا كماله وعظمته وجماله، والعقل جازم بإثبات هذا له.

جـ- يضاف لذلك: أن الدليل العقلي الذي دل على ثبوت (الحياة والقدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر)، دل نظيره على ثبوت (الحكمة والرضا والرحمة والغضب والفرح والضحك والوجه واليدين.. إلخ)، والذي دل على أنه (فاعل بمشيئته واختياره)، دل على (قيام أفعاله به وأنه ينزل كيف يشاء ويجئ كيف يشاء ويستوي كيف يشاء.. إلخ).

ويمتنع أن يصف تعالى نفسه أو يصفه رسوله بصفة توهم نقصاً، وعليه فمن شك في أيٍّ من صفاته: فهو المصاب في عقله، وسالب للكمال عمن هو أحق بالكمال من كل ما سواه، فضلاً عن قدحه لدلالة الإجماع، ويكفيك في فساد عقل معارض الوحي: أن لم يقم عنده دليل عقلي على تنزيه ربه عن العيوب والنقائص.. كما أن أدلة مباينة الرب - في جميع صفاته - لخلقه، وعلوه على جميع مخلوقات، أدلة عقلية فطرية توجب هي الأخرى العلم الضروري بمدلولها" كذا أفاده ابن القيم في مختصر الصواعق.

د- أن دلائل العقل اليقينية القطعية، تقضي: ببطلان الرجوع في هذه الأمور إلى العقل بمفرده، وذلك شرعاً وعقلاً، أما شرعاً: فلقوله تعالى: (ولا تقف ما ليس لك به علم..) (الإسراء/٣٦)، وقوله: (قل إنما حرم ربي الفواحش) (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون.. الأعراف/٣٣)، وقوله: (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير.. الأنعام/١٠٣)..

وأما عقلاً: فلأن هذه الأمور، هي من الأشياء الغيبية التي لا تُتلقى إلا بالخبر المحض، وما كان كذلك فبمقتضى العقل الصريح: لا يكون الرجوع ولا التحكيم فيها ولا الحكم ولا التعويل ولا الاعتماد عليها، إلا من خلال النقل الصحيح.. ذلك أنه تعالى ليس كمثله شيء في ذاته ولا صفاته، وإذا كان سبحانه مخالفاً للخلق في ذاته وصفاته، فكيف يَحكم الخلق بعقولهم وإدراكاتهم على من هو فوق هذه العقول والإدراكات؟، وإذا كان جواب المتحاكمين إلى العقل والجاعلينه مصدراً للتلقي، بالنفي؛ يقال لهم: (إن ما نفيتموه بالعقل قد دل عليه العقل، تماماً على نحو ما دل عليه الشرع)، ويقال لهم: (إذا كان المجيء مثلاً والإتيان، إنما يختلف حتى بالنسبة للمخلوق، إذ هما بالنسبة لإنسان نشِط ليسا كمن يمشي على عصا ولا ينقل رجلاً من مكانها إلا بعد تعب؛ بل يختلف الأمر فيهما لكُبراء البلد أو من وُلاة الأمور، بالنسبة لشخص لا يُحتفى به، فكيف بهما بالنسبة له تعالى؟)، كما يقال لهم: (أنتم من تفترون وتهدمون العقل بما تدعونه عقلاً).. ولله در العلامة السفاريني حين قال:

ولا نَرُدُّ ذاك بالعقول
لقول مفتر به جهول
فعقدُنا الإثباتُ يا خليلي
من غير تمثيل ولا تعطيل

ومن قبله الإمام الطحاوي حيث قال: "كل ما جاء في ذلك - يعني: في رؤيته تعالى وسائر ما وصف به نفسه - من الحديث الصحيح عن رسول الله فهو كما قال، ومعناه على ما أراد، لا نَدخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا، فإنه ما سلم في دينه إلا من سلّم لله ولرسوله، ورَدّ علم ما اشتبه عليه إلى عالمه".. ومن بعده الشيخ حافظ حكمي، قال - فيمن

نبذوا كتاب الله خلف ظهورهم
وبقوا حيارى في ضلال التيه

"وسبب ضلالهم أنهم قدموا بين يدي الله ورسوله، واتهموا الوحيين فيما نطقا به، ووزنوهما بعقولهم السخيفة وأذهانهم البعيدة وقوانينهم الفاسدة

التي هي ليست من الله في شيء، ولا من علوم الإسلام في ظل ولا فيء، وإنما هي أوضاع مختلفة أدخلها الأعادي على أهل الإسلام لقصد إظهار الفساد، ولغرس شجرة الإلحاد، المثمرة: تعطيل الباري عن صفات كماله وعلوه واعتقاد الحلول والاتحاد.

سموا النور الذي أنزله الله على رسوله تفصيل كل شيء وتبياناً لكل شيء ولم يفرط فيه من شيء، وبيان النبي من جوامع كلمه التي اختصه الله بها، سموا ذلك كله: (آحاداً ظنية لا تفيد اليقين).. وسموا زخارف أذهانهم ووساوس شياطينهم: (قواطع عقلية).. ولا والله ما هي إلا خيالات وهمية ووساوس شيطانية، هي من الدين بريئة وعن الحق أجنبية، توجب الحيرة وتعقُب الحسرة، كثيرة المباني قليلة المعاني، كسراب يحسبه الظمآن ماءً، ويا ليته إذا جاءه لم يجده شيئاً لكن وجده السم النقيع والداء العضال".. وعذر الفخر الرازي -ومثله كل من أدرك نفسه- أنه برئ من كل ذلك.

٣- أين الخلل؟ وكيف السبيل لإنقاذ الأمة ووحدتها؟

والجواب: أما عن الخلل فيكمن في: (الخلط بين المصدرية والمرجعية، وربط المسلم بالثانية منهما دون الأولى)، فالمصدرية الوحيدة حينما تكون للقرآن والسنة، تضمن سلامتَنا من زلل ما نقع فيه الآن، على نحو ما ضمنت تدارك ما وقع فيه مَن قبلنا، ذلك أنهما - القرآن والسنة - صمام الأمان الواقي من الضلال إذا أُحسن توظيفهما بضوابطهما الشرعية، ومصداق ذلك قوله بأبي هو وأمي: (تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي)، نعم؛ لابد من اعتماد منابع أخرى تساعد على فهم النصوص الشرعية وتعكس فهوم الناس للتدين تصوراً وممارسة، لكن ليس باعتبارها مصادر يُنحاز إليها ويُضفى عليها أنواعاً من القداسة الشعورية لدى المتربين من حيث ندري أو لا ندري، وإنما باعتبارها مراجع تتضمن تجارب قد تصيب وقد تخطئ، فذاك هو السياق الحقيقي الذي يمكن للمرجع أن يُفاد منه، وأما رفعه إلى مقام المصدرية على نحو ما هو حاصل الآن من التمسك بكتب متأخري الأشاعرة، فهذا عين الخطأ الذي يؤدي إلى الانصراف عن مصادر الإسلام إلى أقوال الرجال وأحوالهم..

يشهد لهذا: ما شاب المذهب الأشعري من أخطاء تراجع عنها الأشعري ذاته على ما أفضنا في كتابنا: (صحيح معتقد الأشعري في توحيد الصفات)، وغيره على ما أفضنا في كتابنا: (سيراً على خطا الأشعري).. والغريب في الأمر: أن ما تم التراجع عنه، هو ما يكتب له الذيوع والانتشار؛ فعلى الرغم مما شاب المذهب الأشعري من أخطاء: (تقديم أدلة العقل على النقل والزعم بإمكانية تعارضهما، والقول بأن الأول يفيد اليقين عكس الثاني الذي يفيد الظن بزعمهم)، إلا أنه الذي انتشر في عهد وزارة (نظام الملك) الذي كان أشعري العقيدة وصاحب الكلمة النافذة في الإمبراطورية السلجوقية، وكذلك أصبحت العقيدة الأشعرية عقيدة شبه رسمية تتمتع بحماية الدولة، وزاد في انتشارها وقوتها: (مدرسة بغداد النظامية ومدرسة نيسابور النظامية)، وكان يقوم عليهما رواد المذهب الأشعري، وكانت المدرسة النظامية في بغداد أكبر جامعة إسلامية في العالم الإسلامية وقتها، يعني: شأن الأزهر اليوم..

كما تبَنّى المذهب وعمل على نشره: (المهدي بن تومرت مهدي الموحدين، ونور الدين محمود زنكي، والسلطان صلاح الدين الأيوبي)، بالإضافة إلى اعتماد جمهرة من العلماء عليه، وبخاصة فقهاء الشافعية والمالكية المتأخرين، ولذلك انتشر المذهب في العالم الإسلامي كله، ولا يزال المذهب الأشعري سائداً في أكثر البلاد الإسلامية وعلى رأسها بلد الأزهر، وله جامعاته ومعاهده المتعددة.. وهذه جميعها؛ الأصل فيها: أنها مجرد مراجع يؤتنس بها في معرفة الحق، وليست مصادر يجب التحاكم إليها على حساب الآية والحديث.

وباعتقادي: أن في هذا القدر ما يكفي في الإجابة عن سؤال: (كيف السبيل إلى سلامة المنهج؟) وأنه يكمن فيما ذكرنا من: (التسليم للخبر) و(لزوم السنة والجماعة)..

وباعتقادي أيضاً أن تبنينا لهذا الخط في قضية توحيد الصفات، واعتمادنا المراجع التي أصابت في إيثار نهج الالتزام بظواهر النصوص وصحيح المنقول، والقائلة بعدم تعارضها مع صريح المعقول، والمزيلة لوحشة الأرواح في الجسوم، يُعدُّ تطبيقاً عملياً لهذا المنهج ولما نعتقد أنه السبيل القويم في تناول أحكام الشريعة على جهة العموم وسائر قضايا الاعتقاد على وجه الخصوص..

وإلى لقاء آخر نستكمل الحديث.. والحمد لله رب العالمين.

الشحاذة بين الاحتراف والاحتياج

إعداد/ صلاح عبد الخالق

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وبعد.. فظاهرة الشحاذة (التسول) أصبحت من الظواهر السلبية الخطيرة التي انتشرت بشكل واسع ومُلفت للنظر، ومهين للكرامة الإنسانية، وتنوعت أشكالها وصورها، وتتطور على الدوام من مكان لآخر بصور احترافية عالية الإقناع، حتى وصلنا إلى الشحاذة الإلكترونية وهناك أسئلة محيرة تحتاج إلى إجابات:

- هل هؤلاء الشحاذون (المتسولون) محترفون أم محتاجون؟
- وما أسباب وعلاج هذه الظاهرة المزعجة المهينة؟

تعريف الشحاذة:

- شحَذَ من يَشحَذ، شحاذةً، فهو شحّاذ، شحَذ من النَّاس: تسوَّل، استعطاهم، سألهم الصدقةَ والإحسانَ بإلحاح. معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/١١٧٠).

- احتراف الشحاذة ليس من أخلاق السلف:

أ- لَمْ يَكُنْ فِي الصَّحَابَةِ- لاَ أَهْلِ الصُّفَّةِ وَلاَ غَيْرِهِمْ- مَنْ يَتَّخِذُ مَسْأَلَةَ النَّاسِ وَلاَ الإِلْحَافَ فِي الْمَسْأَلَةِ بِالْكُدْيَةِ وَالشِّحَاذَةِ لاَ بِالزِّنْبِيلِ وَلاَ غَيْرِهِ صِنَاعَةً وَحِرْفَةً بِحَيْثُ لاَ يَبْتَغِي الرِّزْقَ إِلاَّ بِذَلِكَ كما لَمْ يَكُنْ فِي الصَّحَابَةِ أَيْضًا أَهْلُ فُضُولٍ مِنَ الأَمْوَالِ يَتْرُكُونَ لاَ يُؤَدُّونَ الزَّكَاةَ وَلاَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يُعْطُونَ فِي النَّوَائِبِ. بَلْ هَذَانِ الصِّنْفَانِ الظَّالِمَانِ الْمُصِرَّانِ عَلَى الظُّلْمِ الظَّاهِرِ مِنْ مَانِعِي الزَّكَاةِ وَالْحُقُوقِ الْوَاجِبَةِ وَالْمُتَعَدِّينَ حُدُودَ اللهِ تَعَالَى فِي أَخْذِ أَمْوَالِ النَّاسِ كَانَا مَعْدُومَيْنِ فِي الصَّحَابَةِ الْمُثْنَى عَلَيْهِمْ. (مجموع الفتاوى لابن تيمية: ١١/٤٦).

ب- عن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الأَشْجَعِيِّ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً، فَقَالَ: «أَلاَ تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟» وَكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ، فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَلاَ تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟» فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَلاَ تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟» قَالَ: فَبَسَطْنَا أَيْدِيَنَا وَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَعَلاَمَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: «عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَتُطِيعُوا- وَأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيَّةً- وَلاَ تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا» فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولَئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ، فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ. (صحيح مسلم: ١٠٤٣).

الترهيب من الشحاذة (التسول):

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «لَوْ يَعْلَمُ صَاحِبُ الْمَسْأَلَةِ مَا لَهُ فِيهَا لَمْ يَسْأَلْ» (صحيح الجامع: ٥٣٤٢).

(لو يعلم صاحب المسألة) أي: الذي يسأل الناس شيئًا من أموالهم (ما له فيها) أي من الخسران والهوان عند الله (لم يسأل) أحدًا من المخلوقين شيئًا، بل لا يسأل إلا الخالق. فيض القدير (٥/٣٨٨).

- للشحاذة آفات كثيرة في الدنيا والآخرة، منها:

أولاً: من آفات الشحاذة في الدنيا:

١- الشحاذ مكروه من الله تعالى: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إنَّ اللهَ تعالى يُبْغِضُ السَّائِلَ المُلْحِفَ وَيُحِبُّ الْحَيِيَّ الْعَفِيفَ الْمُتَعَفِّفَ». صحيح الجامع (١٧١١).

ألحف في السؤال ألح فيه، والمراد السائل لغير الله. التنوير في شرح الجامع الصغير(٣/٣٧٢).

٢- تفتح عليه أبواب الفقر والمذلة:

أ- عن أبي كَبْشَةَ الأَنْمَارِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «ثَلاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ» قَالَ: «مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلاَّ زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا، وَلاَ فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلاَّ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ» سنن الترمذي (٢٣٢٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٢٤).

ب- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّه عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ فَتَحَ عَلَى نَفْسِهِ بَابَ مَسْأَلَةٍ مِنْ غَيْرِ فَاقَةٍ نَزَلَتْ بِهِ، أَوْ عِيَالٍ لاَ يُطِيقُهُمْ، فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَاقَةٍ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ». (صحيح الترغيب والترهيب: ٧٩٥).

٣- كالذي يأكل ولا يشبع:

- عن حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ، فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ، فَأَعْطَانِي ثُمَّ قَالَ: «يَا حَكِيمُ، إِنَّ هَذَا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ، اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى» رواه البخاري (١٤٧٢) ومسلم (١٠٣٥).

-(وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ) بأن كان طماعاً، يحاول أن يأخذ المال الذي ليس من كسبه ولا من تعبه، مثل كثير من المتسولين يمد أحدهم يده ويطلب من الناس، ولا يعمل.

- «لم يبارك له فيه» أي: نزع الله منه البركة، وسلب صاحبه القناعة، فأصبح فقير النفس دائما ولو أعطي كنوز الأرض. منار القاري (٣/٤٥).

- (كَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ)؛ فَيَقَعُ فِي الدَّاءِ الْعُضَالِ وَالْوَرْطَةِ الْمُهْلِكَةِ لغَلَبَةِ الحرص كَالَّذِي بِهِ جُوعُ الْبَقَرِ، وَكَالْمَرِيضِ الَّذِي لَهُ الِاسْتِسْقَاءُ حَيْثُ مَا يُرْوَى، وَكُلَّمَا يَشْرَبُ يَزِيدُ عَطَشًا وَانْتِفَاخًا. مرقاة المفاتيح (٨/٣٢٣٢).

٤- الشحاذ ظالم:

الْمَسْأَلَةُ فِي الْأَصْلِ حَرَامٌ. وَإِنَّمَا أُبِيحَتْ لِلْحَاجَةِ وَالضَّرُورَةِ. لِأَنَّهَا ظُلْمٌ فِي حَقِّ الرُّبُوبِيَّةِ. وَظُلْمٌ فِي حَقِّ الْمَسْئُولِ. وَظُلْمٌ فِي حَقِّ السَّائِلِ.

- أَمَّا الْأَوَّلُ: فَلِأَنَّهُ بَذَلَ سُؤَالَهُ وَفَقْرَهُ وَذُلَّهُ وَاسْتِعْطَاءَهُ لِغَيْرِ اللَّهِ. وَذَلِكَ نَوْعُ عُبُودِيَّةٍ. فَوَضَعَ الْمَسْأَلَةَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا. وَأَنْزَلَهَا بِغَيْرِ أَهْلِهَا. وَظَلَمَ تَوْحِيدَهُ وَإِخْلَاصَهُ. وَفَقْرَهُ إِلَى اللَّهِ، وَتَوَكُّلَهُ عَلَيْهِ وَرِضَاهُ بِقَسْمِهِ. وَاسْتَغْنَى بِسُؤَالِ النَّاسِ عَنْ مَسْأَلَةِ رَبِّ النَّاسِ. وَذَلِكَ كُلُّهُ يَهْضِمُ مِنْ حَقِّ التَّوْحِيدِ، وَيُطْفِئُ نُورَهُ وَيُضْعِفُ قُوَّتَهُ.

- وَأَمَّا ظُلْمُهُ لِلْمَسْئُولِ: فَلِأَنَّهُ سَأَلَهُ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ. فَأَوْجَبَ لَهُ بِسُؤَالِهِ عَلَيْهِ حَقًّا لَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْهِ. وَعَرَّضَهُ لِمَشَقَّةِ الْبَذْلِ، أَوْ لَوْمِ الْمَنْعِ. فَإِنْ أَعْطَاهُ، أَعْطَاهُ عَلَى كَرَاهَةٍ. وَإِنْ مَنَعَهُ. مَنَعَهُ عَلَى اسْتِحْيَاءٍ وَإِغْمَاضٍ. هَذَا إِذَا سَأَلَهُ مَا لَيْسَ عَلَيْهِ. وَأَمَّا إِذَا سَأَلَهُ حَقًّا هُوَ لَهُ عِنْدَهُ: فَلَمْ يَدْخُلْ فِي ذَلِكَ. وَلَمْ يَظْلِمْهُ بِسُؤَالِهِ.

- وَأَمَّا ظُلْمُهُ لِنَفْسِهِ: فَإِنَّهُ أَرَاقَ مَاءَ وَجْهِهِ. وَذَلَّ لِغَيْرِ خَالِقِهِ. وَأَنْزَلَ نَفْسَهُ أَدْنَى الْمَنْزِلَتَيْنِ. وَرَضِيَ لَهَا بِأَبْخَسِ الْحَالَتَيْنِ. وَرَضِيَ بِإِسْقَاطِ شَرَفِ نَفْسِهِ، وَعِزَّةِ تَعَفُّفِهِ، وَرَاحَةِ قَنَاعَتِهِ. وَبَاعَ صَبْرَهُ وَرِضَاهُ وَتَوَكُّلَهُ، وَقَنَاعَتَهُ بِمَا قُسِمَ لَهُ، وَاسْتِغْنَاءَهُ عَنِ النَّاسِ بِسُؤَالِهِمْ. وَهَذَا عَيْنُ ظُلْمِهِ لِنَفْسِهِ. إِذْ وَضَعَهَا فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا. وَأَخْمَلَ شَرَفَهَا. وَوَضَعَ قَدْرَهَا. وَأَذْهَبَ عِزَّهَا. وَصَغَّرَهَا وَحَقَّرَهَا. وَرَضِيَ أَنْ تَكُونَ نَفْسُهُ تَحْتَ نَفْسِ الْمَسْئُولِ. وَيَدُهُ تَحْتَ يَدِهِ. وَلَوْلَا الضَّرُورَةُ لَمْ يُبَحْ ذَلِكَ فِي الشَّرْعِ. مدارج السالكين (٢/٢٢٣).

ثانيًا: من آفات وأضرار الشحاذة يوم القيامة

١- تساقط لحم وجهه:

- عَنْ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللهَ، وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ». رواه البخاري (١٤٧٤)، ومسلم (١٠٤٠).

- أي: ما يزال الرجل المتسول يكثر من التسول ويلح في سؤال الناس عن غير عوز وفاقة فيغضب الله عليه فيذله ويهينه يوم القيامة كما أذل نفسه في الدنيا، ويفضحه على رءوس الأشهاد، فيسلخ له وجهه كله، حتى يأتي أمام الناس وليس في وجهه قطعة لحم؛ جزاءً وفاقًا لما فعله في الدنيا من إراقة ماء الوجه. منار القاري (٣/٤٨).

٢- يشهد عليه يوم القيامة:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرٌ حُلْوٌ، وَنِعْمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ هُوَ لِمَنْ أَعْطَى مِنْهُ الْمِسْكِينَ، وَالْيَتِيمَ، وَابْنَ السَّبِيلِ، وَإِنَّهُ مَنْ يَأْخُذُهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ كَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَيَكُونُ عَلَيْهِ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» صحيح مسلم (١٠٥٢).

(وَيَكُونُ) أَيِ: الْمَالُ (شَهِيدًا عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) أَيْ: حُجَّةً عَلَيْهِ يَوْمَ يَشْهَدُ عَلَى حِرْصِهِ وَإِسْرَافِهِ. مرقاة المفاتيح (٨/٣٢٣٢).

٣- يُكوى بجمر جهنم:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكَثُّرًا، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ» صحيح مسلم (١٠٤١).

أ- قَالَ الْقَاضِي: مَعْنَاهُ: أَنَّهُ يُعَاقَبُ بِالنَّارِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ عَلَى ظَاهِرِهِ وَأَنَّ الَّذِي يَأْخُذُهُ يَصِيرُ جَمْرًا يُكْوَى بِهِ، كَمَا ثَبَتَ فِي مَانِعِ الزَّكَاةِ. شرح النووي (٣/٤٩٣).

ب- ففي هذا دليل على أن سؤال الناس بلا حاجة من كبائر الذنوب. شرح رياض الصالحين (٣/٣٩٢).

- الترغيب في العفة وعدم التسول:

١- محبة الله تعالى للعفيف:

أ- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ اللهَ تعالى يُبْغِضُ السَّائِلَ الْمُلْحِفَ، وَيُحِبُّ الْحَيِيَّ الْعَفِيفَ الْمُتَعَفِّفَ » صحيح الجامع (١٧١١).

ب- قال تعالى: «لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ» (البقرة: ٢٧٣).

- قوله: (لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ) العجز عن الكسب والضرب في الأرض للتجارة ونحوها بسبب المرض أو الخوف من العدو.

-قوله: (يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ) التعفف والمبالغة في التنزه عن الطمع مما في أيدي الناس، فإذا رآهم الجاهل بحقيقة حالهم ظنهم أغنياء. قوله: (تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ) أن لهم سيما خاصة تترك معرفتها إلى فراسة المؤمن الذي يتحرى بالإنفاق أهل الاستحقاق، إذ صاحب الحاجة لا يخفى على المتفرس مهما تستر وتعفف، ولا يختص ذلك بخشوع وتواضع، ولا برثاثة في الثياب، فرُبَّ سائل يأتيك خاشع الطرف والصوت رث الثياب، تعرف من سيماه أنه غني وهو يسأل الناس تكثرًا!! وكم من رجل يقابلك بطلاقة وجه، وحسن بزّة فتحكم عليه في لحن قوله، وأمارات وجهه أنه فقير عزيز النفس لا يسأل الناس شيئًا مما في أيديهم سؤال إلحاح كما هو شأن الشحاذين، وقد يكون المعنى- أنهم لا يسألون أحدًا شيئًا لا سؤال إلحاف ولا سؤال رفق واستعطاف. تفسير المراغي (٣/٥١)

٢- يعفه الله تعالى:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ نَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا عِنْدَهُ قَالَ: «مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَصْبِرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ» صحيح مسلم (١٠٥٣).

٣- ضمان الجنة:

أ- عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يَكْفُلُ لِي أَنْ لَا يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا، وَأَتَكَفَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ؟»، فَقَالَ ثَوْبَانُ: أَنَا، فَكَانَ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا « سنن أبي داود (١٦٤٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٦٠٤).

والحمد لله رب العالمين.

الرشوة فساد شرعي ودمار مجتمعي

إعداد/ عبده الأقرع

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على من لا نبي بعده، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد: فالرشوة داءٌ من أخطر الأدواء فتكًا بالمجتمعات، ذلك أنها لا تشيع في مجتمع، إلا تداعت أركانه، وهبط من مستواه الخلقي إلى الحضيض، وسيطرت فيه المادية الجشعة على الجميع، إلا من رحم ربي، فيصبح صاحبُ الحق في قلق، لأنه لا يمكنه الحصول على حقه إلا إذا قدم رشوة لمن عنده وسيلة للحصول عليه.

ولا ترى صاحب ظلامة يطمع في رفع ظلامته عنه، إلا أن يرشي من له قدرة على رفعها، وقد يبلغ الأمر بالمرتشي إلى أن يُماكس الراشي في مقدار الرشوة، وربما كان ذلك جهرًا بلا حياء ولا خجل، وهذا من فساد المجتمع واختلال نظامه، وتفكك أواصره.

والله تعالى حرم على عباده ما يكون سببًا في ضياعهم، فحرم الرشوة وهي بذل المال للتوصل به إلى باطل، إما بإعطاء الباذل ما ليس من حقه أو إعفائه مما هو حق عليه، يقول الله تعالى: « وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ» (البقرة:١٨٨).

ويقول سبحانه في ذم اليهود: « سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ » (المائدة:٤٢)، والرشوة من السحت كما فسر الآية به ابن مسعود وغيره.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لعنة الله على الراشي، والمرتشي». (صحيح الجامع: ٤٩٩٠).

وهذا إما خبر من النبي صلى الله عليه وسلم أو دعاء على الراشي والمرتشي بلعنة الله وهي الطرد والإبعاد عن رحمة الله كما لعن الشيطان فطرد وأبعد عن رحمة الله عز وجل، وإن لعنة الله ورسوله لا تكون إلا في أمر عظيم ومنكر كبير، وإن الرشوة لمن أكبر الفساد في الأرض؛ لأنها بها تغيير حكم الله، وتضييع حقوق عباد الله واثبات ما هو باطل ونفي ما هو حق.

إن الرشوة فساد في المجتمع وتضييع للأمانة، وظلم للنفس يظلم الراشي نفسه ببذل المال لنيل الباطل، ويظلم المرتشي نفسه بالمحاباة في أحكام الله، يأكل كل منهما ما ليس من حقه، ويكتسب حرامًا لا ينفعه بل يضره، ويسحت ماله أو بركة ماله إن بقي المال.

إن الرشوة تكون في الحكم فيقضى من أجلها لمن لا يستحق أو يمنع من يستحق أو يقدم من غيره أحق بالتقديم في تنفيذ الحكم، فيتهاون من عليه تنفيذه بتنفيذه من أجل الرشوة سواء كان ذلك بالتراخي في التنفيذ أو بعمل ما يحول بين المحكوم عليه وألم العقوبة إن كان الحكم عقوبة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لعن الله الراشي، والمرتشي في الحكم». (صحيح الجامع: ٤٩٦٩).

إن الرشوة تكون في الوظائف والمسابقة فيها فيقدم من أجلها من لا ينجح أو تعطى له أسئلة المسابقة قبل الامتحان فيولى الوظيفة من غيره أحق منه، وإن الرشوة تكون في تنفيذ المشاريع، ينزل مشروع عمل في المناقصة فيبذل أحد المتقدمين رشوة فيرسو المشروع عليه مع أن غيره أنصح قصدًا أو أتقن عملاً، ولكن الرشوة عملت عملها.

وإن الرشوة تكون في التحقيقات الجنائية أو الحوادث أو غيرها فيتساهل المحققون في التحقيق من أجل الرشوة، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من استعملناه على عمل، فرزقناه رزقًا، فما أخذ بعد ذلك فهو غلول». (صحيح الجامع: ٥٨٩٩). والغلول إثمه عظيم.

وقد تلبس الرشوة ثوبًا مستعارًا ولكنه لا يخفي حقيقتها، كما قيل:

ثوب الرياء يشف عما تحته
فإذا التحفت به فإنك عاري

فقد تكون الرشوة في صورة تُحفة أو هدية، أو محاباة في بيع أو شراء، أو إبراء من دَيْن، أو يشركه في أرض أو يتوسط له في شيء من ذلك، ونحو ذلك.

وكُلُّ هذه الحيل لا تزيلُ الحقائق، وهي في جميع الصور رشوة، بشعة المنظر، سيئة المخبر كريهة الرائحة، ملوثة للشرف، مضيعة للعفة والكرامة والمهابة، ولذا كان الراشي والمرتشي ملعونين؛ لأن الراشيَ يساعدُ المرتشي على تضييع الحقوق، ويسهلُ أكل أموال الناس بالباطل، وينمي فيه الخلق الذميم، وييسر له التحكيم فيما هو حق لغيره.

مع أن النبي صلى الله عليه وسلم استعمل رجلاً من الأزد، يُقال له ابن اللتبية علي الصدقة فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أهدي إلي. فخطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَى الْعَمَلِ مِمَّا وَلَّانِي اللَّهُ، فَيَأْتِي فَيَقُولُ: هَذَا مَالُكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ لِي. أَفَلَا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ حَتَّى تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ؟ وَاللَّهِ لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ إِلَّا لَقِيَ اللَّهَ يَحْمِلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ). (متفق عليه).

وقالَ عليه الصلاةَ والسلام: «من استعملناه على عمل فكتمنا مخيطا فما فوقه كان غلولاً يأتي به يوم القيامة». (صحيح الجامع: ٥٩٠٠)؛ لأن الله يقول: « وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ » (آل عمران:١٦١).

فيا معشر الموظفين: اتقوا الله في مصالح المسلمين، يسروا أمورهم، واقضوا حوائجهم، وإياكم وأموالهم، فإنها سحت، ولا تنفع أبدًا، وانظروا بأمانة وصدق هل تنفقون هذه الأموال إلا على الطب والدواء؟ واسألوا أنفسكم هل يبقى عندكم شيء من هذه الأموال؟ والجواب الصحيح: لا يبقى منها شيء إلى آخر الشهر، « فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ » (الحشر:٢)، ولا تقولوا إن فلانًا بنى عمارات من هذه الأموال، واعلموا أنه سيتركها لمن لا يحمده، ويقدم بأوزاره على من لا يعذره.

تلك عقوبة الراشي والمرتشي في الآخرة وهي اللعن والطرد من رحمة الله، وعلمتم شيئًا من مفاسدها في المجتمع، أفلا يكون في ذلك رادع عنها لكل مؤمن يخشى الله ويخاف عقابه، ولكل مخلص يحافظ على دينه ومجتمعه كيف يرضى أن يعرِّض نفسه لعقوبة الله؟! كيف يرضى أن يذهب دينه وأمانته من أجل حطام من الدنيا لا يدري لعله لا يأكله فيموت قبل أن ينعم به؟! كيف يليق بالعاقل أن يسعى في فساد المجتمع وهلاكه؟! فاتقوا الله عباد الله وحافظوا على دينكم وأمانتكم وفكروا قليلاً أيهما خير لكم: أن تكونوا قائمين بالعدل بعيدين عن الدناءة حائزين لرضا الله ومثوبته، أم تكونوا جائرين مخلدين إلى الأرض متعرضين لسخط الله وعقوبته؟!

فنصيحتي إليك أيها المسئول: أن تعمل لله شعارك شعار الأبرار: « إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۝ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا » (الإنسان:٩، ١٠).

وحسبك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس». (صحيح الترغيب: ٢٦٢٣)، وقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يزال الله في حاجة العبد ما دام في حاجة أخيه». (صحيح الترغيب: ٢٦١٩).

واحذر من قوله عليه الصلاة والسلام: «إن لله أقوامًا اختصهم بالنعم لمنافع العباد، يقرهم فيها ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها منهم، فحولها إلى غيرهم». (صحيح الترغيب: ٢٦١٧).

نسأل الله تعالى السلامة والعافية.

تهنئة

تمت بحمد الله مناقشة رسالة الماجستير للطبيب /عبد الله عمر أبوقفة، تحت عنوان: إعادة البناء المتأخرة لوظائف اليد بعد شلل العصب الزندي، تحت إشراف:

أ.د/ محسن محمد مرعي، أستاذ جراحة العظام، جامعة الزقازيق.

أ.د/ عبد السلام عيد عبد السلام، أستاذ جراحة العظام، جامعة الزقازيق.

د/ رضا حسين القاضي، مدرس جراحة العظام، جامعة الزقازيق.

وتكونت لجنة المناقشة من:

أ.د/ محسن محمد مرعي، عن المشرفين

أ.د/ عمر عبد الوهاب كيلاني، مناقش داخلي أستاذ جراحة العظام، جامعة الزقازيق

أ.د/ هانئ عبد المنعم بسيوني، أستاذ جراحة العظام، جامعة بنها، مناقش خارجي

البيان الجلي في حكم الاحتفال بالمولد النبوي

إعداد/ معاوية محمد هيكل

الحمد لله الذي جعل اتباع رسوله على محبته دليلاً، وأوضح طرق الهداية لمن شاء أن يتخذ إليه سبيلاً، وأشهد ألا إله إلا الله؛ شهادة عبد لم يتخذ من دونه وكيلاً، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أكمل الناس هديًا وأقومهم قيلاً..

وبعد: فإنَّ من تحقيق شهادة أن محمدًا رسولُ الله، اتباع شريعته، والانقياد لسنته صلى الله عليه وسلم، والإعراض عما أحدثه المحدثون فيها من ضلالات وبدع؛ فإنه لا خيرَ في عبادة لم يعمل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا صحابتُه الكرام رضي الله عنهم.

ولما وُجد مَن يزين للناس ما لم يأذن به الله، من الابتداع في دينه؛ وجبَ بيان الحق، والذب عن دين الإسلام، محبةً لله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ونصيحةً لسائر المسلمين.

وبينَ يديك في هذا المقال بفضل الله بيان جلي مدعم بالأدلة وأقوال الأئمة الأعلام سلفًا وخلفًا من خلال كل فن من فنون الشريعة، توضح لك كالشمس الحكم بعدم مشروعية الاحتفال بالمولد النبوي، وهاكم البيان:

أولاً: عند أهل العقيدة:

نقول: لو كان الاحتفال بالمولد خيرًا؛ لَسبقنا إليه سلف هذه الأمة؛ لأنهم كانوا أعظم محبة منا للنبي صلى الله عليه وسلم، وكانوا على الخير أحرص.

قال شيخ الإسلام رحمه الله عن الاحتفال بالمولد: «ولو كان هذا خيرًا مَحضًا، أو راجحًا؛ لكان السلف رضي الله عنهم أحقّ به منّا؛ فإنهم كانوا أشدَّ محبةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وتعظيمًا له منّا، وهم على الخير أحرص. وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته واتباع أمره، وإحياء سنته باطنًا وظاهرًا، ونشر ما بُعث به، والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان. فإن هذه طريقة السابقين الأولين، من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان». (اقتضاء الصراط المستقيم٢/١٢٣).

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إنَّا نَقتدي ولا نَبتدي، ونتّبع ولا نبتدع، ولن نَضلَّ ما تمسكنا بالأثر». (أصول الاعتقاد للالكائي، ص١٠٦).

وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: «كلُّ عبادة لم يتعبَّدها أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فلا تعبَّدوها؛ فإن الأول؛ لم يدعْ للآخرِ مَقالاً». (الحوادث والبدع للطرطوشي، ص١٤٩).

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: «إياكَ والبدعَ، والتبدُّعَ، والتنطع.. وعليك بالأمر العتيق». (ذم الكلام للهروي، ص٥٣٧).

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: «فكل من أحدث شيئًا ونسبه إلى الدين-ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه- فهو ضلالة، والدين منه بريء، وسواء من ذلك مسائل الاعتقادات، أو الأعمال، أو الأقوال الظاهرة والباطنة». (جامع العلوم والحكم ٢/١٢٨).

قال الأمير الصنعاني رحمه الله: «ليس في البدعة ما يُمدح؛ بل كل بدعة ضلالة» (سبل السلام: ٢/١٠).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لا يحل لأحد أن يقابل هذه الكلمة الكلية الجامعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي قوله: « كل بدعة ضلالة » بسلب عمومها، وهو أن يقال: ليست كل بدعة ضلالة، فإن هذا إلى مشاقة الرسول أقرب منه إلى التأويل»، وقال: «إن قصد التعميم المحيط ظاهر من نص رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة الجامعة، فلا يعدل عن مقصوده بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم»، وذكر شيخ الإسلام: أن تخصيص عموم النهي عن البدع بغير دليل من كتاب أو سنة أو إجماع لا يُقبل، فالواجب التمسك بالعموم». (الاقتضاء: ٢/٥٨٨- ٥٨٢).

وقال العلامة الألباني رحمه الله: أصلان، لا بدَّ لكلِّ مسلم أن يَدينَ اللهَ بهما: الأصل الأول: ألا يَعبد إلا اللهَ. والأصل الثاني: ألا يَعبده إلا بما شرعَ الله.لم؟ لأنَّ الدينَ قد أكملهُ اللهُ تبارك وتعالى، هذه الحقيقة (مع الأسف) غائبة عن أذهان كثير من المسلمين! (سلسلة الهدى والنور).

قال الشيخ محمد عبد السلام الشقيري رحمه الله: « فاتخاذ مولده موسمًا، والاحتفال به بدعة منكرة،

وضلالة لم يرد بها شرعٌ ولا عقل، ولو كان في هذا خير كيف يغفل عنه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة رضي الله عنهم، والتابعون لهم وتابعوهم والأئمة وأتباعهم» (السنن والمبتدعات، ص: ١٣٨).

ثانيا: عند أهل التفسير:

قال الله تعالى: «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم» (آل عمران: ٣١).

قال ابن جُريج رحمه الله: «كان قوم يزعمون أنهم يُحبون الله، يقولون: إنا نحبُّ ربَّنا! فأمرَهُم الله أن يتَّبعوا مُحمدًا صلى الله عليه وسلم، وجعل اتباعَ محمدٍ علَمًا لحُبه» (تفسير الطبري: ٦/٣٢٣).

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: هذه الآيةُ الكريمة حاكمة على كلِّ مَن ادَّعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية؛ فإنه كاذبٌ في دَعواه في نفس الأمر، حتى يَتَّبعَ الشرعَ المحمديَّ، والدِّين النبوي، في جميع أقواله وأحواله.(تفسير ابن كثير٢/٣٢).

ثالثا: عند أهل الفقه:

هل الاحتفال بالمولد من العبادات التي يتقرب بها إلى الله أم لا؟

فإن كان عبادةً؛ فليس يُصدِّقها دليلٌ صحيح من الكتاب، أو السنة، أو الإجماع، أو قولُ صحابي، أو تابعي، أو أحد من الأئمة الأربعة المتبوعين...فإذا خلا من كل هذا؛ فلتعلم أنه من العبادات المردودة والمرفوضة التي زينها الشيطان لأتباعه!

ويقال أيضًا لمن استدلّ على هذه البدعة بأن جمهور المسلمين في القرون المتأخرة يحتفلون بالمولد ولا يزالون، وذكروا بعض الفتاوى في ذلك.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «ومَن اعتقد أن أكثرَ هذه العادات المخالفة للسنن مجمَعٌ عليها، بناءً على أنَّ الأمة أقرَّتها، ولم تنكرها؛ فهو مخطئٌ في هذا الاعتقاد.فإنه لم يزلْ، ولا يزالُ في كلِّ وقت مَن يَنهى عن عامَّة العادات المحدَثة المخالفة للسُّنة، وما يَجوز دعوى الإجماع بعمل بلد- أو بلاد- من بلاد المسلمين».(اقتضاء الصراط المستقيم: ٢/٨٩).

ثم: كم ذُكرَت الكَثرة في القرآن، وأُريدَ بها الذمُّ؟! وُذكرت القلَّة، وأُريدَ بها الثناء؟!

ثم: إنَّ العبرة في الدليل الشرعي؛ المبني على الكتاب والسنة، وأما أهلُ العلم؛ فيُستدَلُّ لأقوالهم، ولا يُستدَلُّ بها!

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إنّ الحقَّ لا يُعرَفُ بالرجال؛ اعرف الحقَّ، تعرفْ أهلَه» (الذريعة للراغب الأصفهاني، ص١٧١).

رابعًا: عند علماء أصول الفقه:

قال العلامة تاج الدين الفاكهاني عن المولد: لا أعلم لهذا أصلاً في كتاب ولا سنة، ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة، الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة أحدثها البطالون، وشهوة نفس اغتنى بها الأكالون، بدليل أنا إذا أدرنا عليه الأحكام الخمسة قلنا: إمَّا أن يكون واجبًا، أو مندوبًا، أو مباحًا، أو مكروهًا، أو محرَّمًا.وهو ليس بواجب-إجماعًا- ولا مندوب؛ لأن حقيقةَ المندوب: ما طلبهُ الشرعُ من غير ذمٍّ على تركه.

وهذا: لم يأذن فيه الشرع، ولا فعلَهُ الصحابة، ولا التابعون، ولا العلماء المتديِّنون (فيما علمتُ) ولا جائز أن يكون مُباحًا؛ لأنَّ الابتداع في الدين ليس مُباحًا بإجماع المسلمين.فلم يبق إلَّا أن يكون مكروهًا أو حرامًا! وهذا جوابي عنه بين يدي الله إن أنا عنه سئلت» (المورد في عمل المولد، ص١٠).

خامسا: عند أهل الحديث:

السُّنة: ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم، من قولٍ، أو عمل، أو تقرير، أو صفة خَلْقية، أو خُلُقية.

والاحتفالُ بالمولد: ليس واحدًا من هذه الخمسة؛ فدلَّ على أنه ليس منها! بل لقد تكاثرت نصوصُ السنة وتضافرت على التحذير من مثل هذا الاحتفال المخترع.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وشرّ الأمور: مُحدثاتها».(صحيح البخاري: ٧٢٧٧).

وقال صلى الله عليه وسلم: «مَن أحدثَ في أمرنا هذا ما ليسَ فيه فهو ردٌّ».(متفق عليه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

وقال صلى الله عليه وسلّم: «فعليكم بسنَّتي، وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديين؛ عَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم والأمور المحدثات؛ فإنَّ كلَّ بدعة ضلالة» (صحيح سنن ابن ماجه: ٤٢).

سادسا: عند أهل التاريخ والسير:

اتفقوا أهل السير على أنَّ مولدَ الرسول كان يوم الاثنين، فقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم الاثنين؟ فقال: «ذاك يوم وُلدتُ فيه، ويوم بعثتُ (أو) أنزلَ عليَّ فيه». (صحيح مسلم ١١٦٢).

واتفقوا على عام الوفاة وشهره. فقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وكانت الوفاة النبوية في شهر ربيع الأول، سنة إحدى عشرة باتفاق».(فتح الباري: ٩/٤٤٨).

واختلفوا في الشهر واليوم الذي وُلد فيه، فقيل في شهر صفر، وقيل في ربيع الأول، وقيل في ربيع الآخر، وقيل في رجب، وقيل في رمضان، وقيل في شهر ربيع الأول يوم ٢ أو ٨ أو ١٠ أو ١٢ أو ١٧... وليس لأحد هذه الآراء ما يُرجِّحه على الآراء الأخرى. (انظر سيرة ابن هشام (١/١٥٨)، والبداية والنهاية لابن كثير (٢/٣٢٠)، وعيون الأثر لابن سيد الناس (١/٣٣-٣٤).

وإذا كان الحال كذلك فكيف يَفرحُ المسلمُ ويَحتفلُ في الشهر الذي انطفأ فيه نورُ الوحي، وانقطع بالمسلمين الأمان من العذاب؛ الذي جعله الله في الأرض فقال سبحانه: «وما كان الله ليعذِّبهم وأنت فيهم» (الأنفال: ٣٣)؟!

قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: «أمانان كانا في الأرض: فرُفِعَ أحدُهما، وبقيَ الآخر؛ قال تعالى: «وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون» (الأنفال: ٣٣)، (مستدرك الحاكم: ١٩٨٩).

بل كيف يفرحُ ويحتفلُ المسلم في شهر وَقعتْ فيه مُصيبة تهونُ دونها كل مصيبة؟!

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أصابَ أحدَكم مصيبةٌ؛ فليذكُرْ مصيبتَهُ بي؛ فإنها من أعظم المصائب. (صحيح الجامع: ٣٤٧).

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: وما رأيتُ يومًا كان أقبحَ، ولا أظلمَ، من يوم ماتَ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم.. (شرح السنة للبغوي: ٣٨٣٤).

تاريخ الاحتفال بالمولد:

وعن تاريخ إحداث بدعة الاحتفال بالمولد النبوي نقول: إنها في الأساس من مكر الروافض والقرامطة العُبيديين الذين نشروا الإلحاد والزندقة في كل البلاد التي ابتُليت بهم، وعلى أيديهم ذاقت الأمة الويلات عبر العصور، وهؤلاء المجرمون (سمَّوا أنفسهم زورًا وبهتانًا بالفاطميين)، استدراجًا لعوامّ المُسلمين وتضليلاً لهم؛ فأحدثوا بذلك ما أحدثوه، وأفسدوا ما أفسدوه، فعليهم من الله ما يستحقونه؛ جزاء ما اقترفوه.

قال العلامة المقريزي رحمه الله: وكان للخلفاء (الفاطميين) في طول السنة أعيادٌ ومواسمُ.. (ثم عدَّها: ومنها المولد النبوي) (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: ١/ ٤٩٠).

وإيضاحًا لتاريخ نشأة الاحتفال يقول مفتي مصر- سابقًا- الشيخ محمد بخيت المطيعي رحمه الله: (مما أحدث وكثر السؤال عنه المولد، فنقول: إن أول من أحدثها بالقاهرة: الخلفاء الفاطميون، وأولهم المعز لدين الله، توجه من المغرب إلى مصر في شوال سنة (٣٦١) إحدى وستين وثلاثمائة هجرية، فوصل إلى ثغر إسكندرية في شعبان سنة ٣٦٢، ودخل القاهرة لسبع خلون من شهر رمضان في تلك السنة فابتدعوا: ستة موالد: المولد النبوي، ومولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ومولد السيدة فاطمة الزهراء، ومولد الحسن، ومولد الحسين، ومولد الخليفة الحاضر.

وبقيت هذه الموالد على رسومها إلى أن أبطلها الأفضل بن أمير الجيوش.. وفي خلافة الآمر بأحكام الله أعاد الموالد الستة المذكورة قبل، بعد أن أبطلها الأفضل، وكاد الناس ينسونها».

ثم قال الشيخ المطيعي أيضًا: «من ذلك تعلم أن مظفر الدين إنما أحدث المولد النبوي في مدينة أربيل على الوجه الذي وُصف، فلا ينافي ما ذكرناه من أن أول من أحدثه بالقاهرة الخلفاء الفاطميون من قبل ذلك، فإن دولة الفاطميين انقرضت بموت العاضد بالله أبي محمد عبد الله بن الحافظ بن المستنصر في يوم الاثنين عاشر المحرم سنة (٥٦٧) هجرية، وما كانت الموالد تُعرف في دولة الإسلام من قبل الفاطميين».

ثم قال: «وأنت إذا علمت ما كان يعمله الفاطميون، ومظفر الدين في المولد النبوي جزمت أنه لا يمكن أن يحكم عليه بالحل» (أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام، ص٤٤).

وقال علي محفوظ رحمه الله: «أوَّلُ مَن أحدَثها بالقاهرة الخلفاء (الفاطميون) في القرن الرابع». (الإبداع في مضار الابتداع، ص١٢٦).

وقال القاضي عياض عن العُبيديين: «إنَّ حالَ بني عبيد: حالُ المرتدِّين والزنادقة». (ترتيب المدارك، ٤/ ٧٢٠).

وهذا الاحتفال المبتدع للأسف من التقليد الأعمى لأهل الشرك والزندقة، وهو مصداقُ قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تقومُ الساعة، حتى تأخذَ أمتي بأخذ القرون قبلَها، شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع». (صحيح البخاري: ٣٧١٩).

وكم جر التقليد الأعمى للأمم الضالة والكافرة على المسلمين من محن! ذابت بسببه هوية الأمة، وتداعى عليها الأعداء، ولا حول ولا قوة إلا بالله! وفي الختام وبعد استعراض أقوال الأئمة الأعلام في كل أبواب الشريعة، يتبين أن الاحتفال بالمولد النبوي بدعة منكرة، لم يفعلها النبي عليه الصلاة والسلام ولا صحابته الكرام، ولا من جاء بعدهم من التابعين لهم بإحسان.

فاحرصوا أيها المسلمون المحبون لدينكم ولنبيكم صلى الله عليه وسلم ألا يستدرجكم الشيطان؛ فتقعوا في حبائله، وتنخدعوا بتزيينه، وإياكم وهذا الاحتفال الذي ابتدعه أعداء الإسلام؛ فإن حبَّ النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون أبدًا بمخالفة أمره وهديه؛ بل يكون باتباع سنته واقتفاء أثره.. وهذا هو الحب الصادق للنبي صلى الله عليه وسلم.

لو كان حبك صادقا لأطعته

إن المحب لمن يحب مطيع

والخير كل الخير في اتباع من سلف، والشر كل الشر في ابتداع من خلف.

وصلِّ اللهم وسلِّم على نبيِّنا وحبيبنا مُحمد، وآله وصحبه، والحمدُ لله رب العالمين.

العمل بالقول الراجح والنهي عن الترخص المذموم

الحلقة الثانية

إعداد/ المستشار/أحمد السيد علي
نائب رئيس هيئة قضايا الدولة

الحمد لله حمدًا لا ينفد، أفضل ما ينبغي أن يحمد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تعبد.

أما بعد: فما يزال الحديث مستمرًا عن ذم الترخص المذموم، وضرورة العمل بالقول الراجح في المسائل الخلافية، وفي هذا العدد نناقش بعض المسائل المتعلقة بهذا الموضوع، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

٢- مسألة صيام الجنب:

قد جاء الدليل بصحة صيام من أصبح جنبًا، وقد جاء الدليل الآخر بعدم صحة صيامه، ورجّح الصحابة رضوان الله عليهم صحة صيامه؛ لأن عائشة أعلم بحاله صلى الله عليه وسلم، فعن سليمانَ بن يسار رضي الله عنه أنَّهُ سأل أم سلمةَ رضيَ اللهُ عنها: «عن الرجلِ يُصبحُ جُنُبًا. أيصومُ؟ قالت: كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يُصبحُ جنبًا، من غيرِ احتلامٍ، ثم يصومُ». (رواه مسلم)

وعن عبد الملكِ بن أبي بكر بن عبد الرحمن عن أبي بكر قال: سمعتُ أبا هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ يقصُّ، يقول في قصصه: «من أدركه الفجرُ جنبًا فلا يصم. فذكرتُ ذلك لعبدالرحمنِ بن الحارث (لأبيه) فأنكرَ ذلك. فانطلق عبدُ الرحمنِ وانطلقتُ معه. حتى دخلنا على عائشةَ وأم سلمةَ رضيَ اللهُ عنهما. فسألهما عبدُ الرحمنِ عن ذلك. قال فكلتاهما قالت: كان النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يُصبحُ جنبًا من غيرِ حلم ثم يصومُ. قال: فانطلقنا حتى دخلنا على مروانَ. فذكر لهُ ذلك عبدُ الرحمنِ.

فقال مروانُ عزمتُ عليك إلا ما ذهبت إلى أبي هريرةَ، فرددتُ عليه ما يقول. قال: فجئنا أبا هريرةَ. وأبو بكر حاضرُ ذلك كلِّهُ. قال: فذكر لهُ عبدُ الرحمنِ. فقال أبو هريرةَ: أهما قالتاهُ لك؟ قال: نعم. قال: هما أعلمُ. ثم ردَّ أبو هريرةَ ما كان يقول في ذلك إلى الفضل بن العباس. فقال أبو هريرةَ: سمعتُ ذلك من الفضل. ولمَ أسمعْهُ من النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ. قال: فرجع أبو هريرةَ عما كان يقولُ في ذلك». (رواه مسلم)

٣- مسألة الترجيح في ثبوت الخبر:

وأيضا فقد عمل الصحابة بالقول الراجح في

ثبوت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فقدموا خبر الاثنين على خبر الواحد، ومن ذلك:

أ - ميراث الجدة:

فقد قوّى أبو بكر خبر المغيرة - في ميراث الجدة - بموافقة محمد بن مسلمة.

فعن قبيصة بن ذؤيب رضي الله عنه قال: «جاءت الجدَّةُ إلى أبي بَكْرٍ الصِّدِّيق، تسألُهُ ميراثَها فقالَ: ما لَكِ في كتابِ اللَّه تعالَى شيءٌ، وما عَلِمْتُ لَكِ في سنَّةِ نبيِّ اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّمَ شَيئًا، فارجِعي حتَّى أسألَ النَّاسَ، فسألَ النَّاسَ، فقالَ المغيرةُ بنُ شعبةَ، حضرتُ رسولَ اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّمَ أعطاها السُّدسَ، فقالَ أبو بَكْرٍ: هل معَكَ غيرُكَ؟ فقامَ مُحمَّدُ بنُ مَسلمةَ، فقالَ: مثلَ ما قالَ المغيرةُ بنُ شعبةَ فأنفذَهُ لَها أبو بَكْرٍ ثمَّ جاءتِ الجدَّةُ الأخرى إلى عمرَ بنِ الخطَّابِ رضيَ اللَّه عنهُ تسألُهُ ميراثَها، فقالَ: ما لَكِ في كتابِ اللَّه تعالى شيءٌ، وما كانَ القضاءُ الَّذي قُضيَ بهِ إلاَّ لغيرِك، وما أنا بزائدٍ في الفرائضِ، ولَكِن هوَ ذلكَ السُّدسُ، فإنِ اجتَمعتُما فيهِ فَهوَ بينَكُما، وأيَّتُكُما خلَت بهِ فَهوَ لَها» (رواه أبو داود وضعفه الألباني).

قال الحافظ الذهبي - رحمه الله - في « تذكرة الحفاظ »: «كان أبو بكر - رضي الله عنه - أول من احتاط في قبول الأخبار» اهـ.

ب - الاستئذان:

وقوّى عمر خبر أبي موسى - في الاستئذان - بموافقة أبي سعيد الخدري.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كنتُ في مجلسٍ من مَجالسِ الأنصارِ، إذ جاءَ أبو موسى كأنه مَذعورٌ، فقالَ: استأذَنتُ على عُمَرَ ثلاثًا، فلم يؤذَنْ لي فرجَعتُ، فقالَ: ما منَعك؟ قلتُ: استأذَنتُ ثلاثًا فلم يؤذَنْ لي فرجَعتُ، وقالَ رسولُ اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم: (إذا استأذَنَ أحدُكم ثلاثًا فلم يؤذَنْ له فليَرجِعْ). فقالَ: واللَّه لتُقيمَنَّ عليه بيِّنَةً، أمنكم أحدٌ سمعه منَ النبيِّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم؟ فقالَ أُبَيُّ بنُ كعبٍ: واللَّه لا يقومُ معَك إلا أصغرُ القومِ، فكنتُ أصغَرَ القومِ فقُمتُ معَه، فأخبَرتُ عُمَرَ أنَّ النبيَّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم قال ذلك». (رواه البخاري) وفي رواية لمسلم: «. فقال عمرُ: أقمْ عليه البيِّنَةَ. والا أوجعتُكَ»، وفي رواية لأبي داود: «فقال عمرُ لأبي موسى: أما إني لم أتَّهِمْكَ، ولكن خشيتُ أن يتقوَّلَ الناسُ على رسولِ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم». (صححه الألباني).

قال الذهبي - رحمه الله - في « تذكرة الحفاظ »: «فالخبر إذا رواه ثقتان كان أقوى وأرجح مما انفرد به واحد، وفي ذلك حض على تكثير طرق الحديث لكي يرتقي عن درجة الظن إلى درجة العلم، إذ الواحد يجوز عليه النسيان والوهم، ولا يكاد يجوز ذلك على ثقتين لم يخالفهما أحد». اهـ.

٤- من المعقول:

قال الشيخ نصار المرصد في بحثه « ضرورة العمل بالقول الراجح »: «١- إن العقلاء يوجبون بعقولهم العمل بالراجح في الحوادث، والأصل تنزيل التصرفات الشرعية منزلة التصرفات المعرفية، وورد في الأثر عن ابن مسعود رضي الله عنه: «ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن» (قال عنه الألباني: لا أصل له مرفوعًا) بمعنى أن الظنين إذا تعارضا، ثم ترجح أحدهما على الآخر، كان العمل بالراجح متعيناً عرفاً؛ فيجب شرعاً لقوله - صلى الله عليه وآله وسلم: «ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن» (المحصول في علم أصول الفقه للرازي).

٢- إن ترجيح المرجوح على الراجح، أو المساواة بينهما في الترجيح قبيح عقلاً، فوجب العمل بالراجح. (ثمرات النظر في علم الأثر لابن الأمير الصنعاني).

٣- إنه لو لم يعمل بالراجح، لزم العمل بالمرجوح، وترجيح المرجوح على الراجح ممتنع في بديهة العقول. (المحصول في علم أصول الفقه للرازي).

٤- إن العمل بالراجح أحرى من المرجوح؛ لأن بيِّنة الراجح اختصت بما يفيد زيادة الظن فصارت الأخرى كالمعدومة إذ المرجوح مع الراجح كذلك. (شرح مختصر الروضة)» اهـ.

وللحديث بقية إن شاء الله.



المسلمون في إيطاليا

الحمد لله الذي لا يُحمد سواه، أعز من أطاعه وأذل من عصاه، وبعدُ:

ففي رحلتنا الممتدة بإذن الله تعالى نُعرِّج على أحوال الإسلام والمسلمين في إيطاليا، والتي تهفو القلوب من أجل الوصول إليها، رغم معرفتهم بأن طريق الوصول محفوف بالمخاطر التي قد تودي بهم إلى الهاوية قبل الوصول إلى شواطئها..

ونحن نسمع كل يوم عن أهوال رحلات الموت في محاولات للوصول إلى إيطاليا من رعايا دول الشرق الأوسط وافريقيا وبعض الدول الآسيوية؛ طمعًا في تغيير أحوالهم المعيشية في بلد الأمان؛ نظرًا للأحوال الاقتصادية السيئة التي يعيشونها في بلدانهم.

إعداد/ جمال سعد حاتم
رئيس التحرير

إيطاليا التي يهفو إليها راغبو الحياة

إيطاليا هي إحدى دول البحر الأبيض المتوسط، تنتمي إلى دول جنوب أوروبا، وتبلغ مساحتها ٣٠١,٢٦٣ كم٢، ويبلغ عدد سكانها ثمانية وخمسون مليون نسمة تقريبًا، وعاصمتها روما، ومن أشهر مدنها المهمة: ميلانو، ونابولي، وتورينو، وجنوا.

وتضم إيطاليا دولة الفاتيكان عاصمة المذهب المسيحي الكاثوليكي، وتتبع إيطاليا عدة جُزر من أهمها جزيرتا صقلية، وسردينيا، تحدها من الشمال النمسا، ومن الشمال الشرقي النمسا ويوغسلافيا، ومن الشمال الغربي فرنسا، ويحدها بحر الأدرياتيك من الشرق، والبحر التيراني من الغرب، والبحر المتوسط من الجنوب، وتكاد شبه جزيرة إيطاليا تنصف البحر المتوسط إلى حوضين شرقي وغربي.

وإيطاليا من الدول المكتظة بالسكان ذات الموارد المحدودة، وتنقسم الأنشطة البشرية إلى الصناعة والزراعة والرعي والحرف البحرية، ويعمل بالزراعة حوالي عُشر القوى العاملة، وأهم الغلات القمح والذرة والشعير والأرز، إلى جانب البنجر السكري، والخضر والزيتون والفاكهة.

وقد وجهت السلطات الإيطالية جهودها للتنمية الزراعية خصوصًا في الجنوب الإيطالي، ويمتلك الكثير منهم مزارع غنية بثرواتها الحيوانية من الأبقار والأغنام والماعز، وتشكل الصناعات أهم موارد الدخل في إيطاليا؛ حيث تسهم بأكثر من نصف الدخل القومي.

ومن الصناعات المهمة: الصناعة النفطية، والصناعات الثقيلة، والصناعات النسيجية، والصناعات الغذائية والكيميائية، ومن أبرز موارد الدخل السياحة، ومن ممتلكات إيطاليا جزيرتا صقلية وسردينيا، وتزيد مساحة كل منها على خمسة وعشرين ألف كيلو مترًا.

الإسلام في إيطاليا.. وأحوال المسلمين

يُعَدُّ الإسلام الديانة الثانية في إيطاليا بعد المسيحية، ويزيد تعداد المسلمين هناك عن المليون ونصف المليون مسلم، موزعين على المدن الإيطالية. وقد وصل الإسلام إلى إيطاليا عبر جزيرة سردينيا عندما فتحها إبراهيم بن الأغلب والي تونس، وقاد حملة الفتح أسد بن الفرات، واستمر الحكم الإسلامي لجزيرة سردينيا أكثر من قرنين، وانتشر الإسلام خلالها في الجزيرة.

وكذا وصل الإسلام إيطاليا عبر جزيرة صقلية، وقد استولى المسلمون على نابولي، وفتحوا تارنتوا، ودخلت جيوش محمد الأول الأغلبي مدينة روما سنة ٢٣٢هـ، وأجبرت البابا على دفع الجزية، وبعد فترة من الزمان استطاع التحالف الفرنجي استرجاع بعض المدن الإيطالية، على إثر الخلافات التي نشبت بين القوى الإسلامية في المشرق والمغرب. يساهم المسلمون في الدخل القومي الإيطالي بما يتراوح ما بين ٤، ٥٪، ويمثلون إضافة حضارية وثقافية متميزة في المجتمع الإيطالي.

وينتشر في إيطاليا ما يزيد على ٧٠٠ مركز إسلامي، ولكن معظمها لا يعدو عن كونه مركزًا ثقافيًا ومدرسة لتعليم القرآن وتحفيظه، أو حتى مجرد جراج للسيارات يتم استخدامه لصلوات الجماعة كمكان للعبادة.

أما عن المساجد الحقيقية في إيطاليا فلا يتجاوز تعدادها ثلاثة مساجد، أشهرها في روما، والثاني في ميلانو؛ حيث أكبر تجمع للمسلمين في إيطاليا؛ إذ يقطنها أكثر من مائة ألف مسلم، والمسجد الثالث هو «مسجد الوليد»، الذي أنشئ بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر في ضاحية «كولة فالديلسا».

ويُعد أكبر وأضخم الهيئات الإسلامية هو «اتحاد الجاليات الإسلامية في إيطاليا»، والذي يضم نحو ١٥٠ مركزًا إسلاميًا تنتشر في معظم إيطاليا، ومقره الرئيس مدينة «روما».

يليه الرابطة الإسلامية في إيطاليا، وهي مؤسسة وطنية معنية بالجانب التربوي، ومقرها ميلانو. والمعهد الثقافي الإسلامي ومقره «ميلانو». والمركز الإسلامي بروما تحت إشراف رابطة العالم الإسلامي. وقد تأسست جمعية الاتحاد الإسلامي في الغرب لرعاية اللاجئين من أوروبا الشرقية، وهي أول جمعية إسلامية في إيطاليا ومركزها روما.

كما قامت الجمعية بتأسيس مدرسة إسلامية بمساعدة رابطة العالم الإسلامي، وأنشئ المركز الإسلامي في روما سنة ١٩٦٦م، ويصدر مجلة شهرية، كما ينشر الكتب الإسلامية باللغة الإيطالية، إلى جانب العديد من المراكز والجمعيات الصغيرة ذات النشاط المحدود.

الإشكاليات التي تواجه مسلمي إيطاليا

والجالية المسلمة في إيطاليا شأنها في ذلك شأن الجاليات والأقليات المسلمة في دول العالم تتعرض لمشكلات كبيرة، ومن أبرز تلك المشاكل: عدم اعتراف الدستور الإيطالي الرسمي بالديانة الإسلامية، وكذلك عدم تجانس الجالية المسلمة عرقيًا وقوميًا، حيث تتألف الجالية من عرقيات مختلفة من العالم الغربي والإسلامي، وتغلب عليها الكثافة المغربية، وهذا ما ينتج عنه عدم الانسجام في الطباع والثقافة وأسلوب الحياة.

ومن أبرز المشكلات التي تواجه الجالية الإسلامية في إيطاليا: ضياع الناشئة الذين يولدون هناك، ويندمجون في تلك المجتمعات، ويتعلمون لغة القوم، ويدرسون في مدارسهم، ويتثقفون بثقافاتهم، خصوصًا من تكون أمهاتهم من غير المسلمات، فهؤلاء يعيشون في صراع نفسي وازدواج ثقافي كبير.

وهذه المؤثرات وغيرها أوجدت انقسامات في صُلب الأسر المسلمة هناك، وتبدأ المشاكل العائلية في الظهور على السطح.

معظم الجالية الإسلامية في إيطاليا تعاني ضعف العلم الشرعي، مما يتسبب في التخبط، وتشويه صورة الإسلام نتيجة لتصدي غير المؤهلين شرعيًا لهذا المنحى.

وكذلك غياب الدور الرسمي للدول الإسلامية في ظل الرعاية المحدودة والضعيفة لسفارات وقنصليات الدول العربية والإسلامية، وتأثيرها المحدود على الجاليات وعلى سلوكهم وثقافاتهم، والنقص الشديد والحاجة الملحة لوجود مدارس وجامعات إسلامية لتعليم الدين الإسلامي الصحيح لأبناء المسلمين، وإظهار أن الإسلام بريء من تلك الحفنة المجرمة التي تشوه صورة الإسلام، والإسلام منها بريء.

فاللهم انصر الإسلام والمسلمين، وأهلك أعداءك أعداء الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.


الآن
المجلد الجديد لمجلة التوحيد
التوحيد
١٤٣٧ هـ
سارع باقتناء نسختك من المجلد الجديد
١٤٣٧ هـ
موسوعة علمية لا تخلو منها مكتبة ويحتاج إليها كل بيت
23936517